شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة رحمه الله

شرح

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب التميمي

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بلده

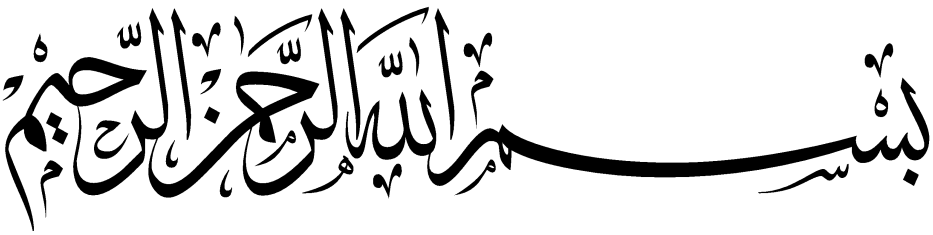
بسم الله الرحمن الرحيم

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ المحمُودِ بِكُلِّ لِسانٍ، المعبودِ في كُلِّ زَمانٍ، الَّذِي لا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكانٌ، ولا يشغَلُه شانٌ عن شانٍ، جلَّ عَنِ الأشباهِ والأنْدادِ، وتَنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأولادِ، ونَفِذَ حُكمُهُ في جميعِ العبادِ، لا تُمَثِّلُهُ العقولُ بالتفكيرِ، ولا تَتَوَهَّمُهُ القلوبُ بالتصويرِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى]، ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١) والصفاتُ العُلىٰ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾[طه]، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾[الطلاق]، وقَهَرَ كلَّ مخلوقٍ عِزَّةً وحُكْمًا، ووسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه]، مَوْصوفٌ بما وَصَفَ به نفسَهُ في كتابِهِ العظيمِ، وعلىٰ لسانِ نَبِيِّهِ الكريمِ.

[الشرح]

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد..

فهٰذه الرِّسالة الموسومة بـ **(لُمعة الاعتقاد)** من نُبَذِ العقيدة؛ يعني من متونها المختصرة، وقد ضمّت مباحث الاعتقاد، وأثنىٰ عليها العلماءُ بعد الموفَّق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

وهي حقيقةٌ بأن تُفَصَّل كلماتُها وجُملها، وأن تُبيّن مباحثُها بشيء من التفصيل، ولمّا كانت هٰذه الأيام الثلاث التي نستقبلها لا تكفي ولا تفي؛ بأن تُشرح هٰذه العقيدة شرحا وافيا، لهٰذا سنمرُّ عليها مرورا فيه إيضاحُ كثيرٍ من مسائلها علىٰ شكلٍ ووجه الإيجاز.

---

(١) سورة: طه (٨)، الحشر (٢٤).

وهٰذه الخطبة التي ذكر المؤلف بين يدي كتابه ورسالته، فيما يسميه علماء البلاغة: براعة الاستهلال؛ وبراعة الاستهلال يعتني بها أهل العلم، ومعناها أن يُضمِّنوا الخطبة التي بين يدي كتبهم، أو بين يدي كلامهم وخطبهم؛ يضمنونها ما سيتكلّمون به أو يُفصِّلونه، فلما كان بحثُ هٰذا الكتاب في الاعتقاد، وفي تنزيه الله جل وعلا، وما يستحقه جل وعلا، وهٰذا أعلىٰ وأعظم ما في مباحث الاعتقاد، ضمّن هٰذه الخطبة الثناء علىٰ الله جل وعلا، وذِكر استوائه جل وعلا علىٰ عرشه، وذِكر علمه جل وعلا وإحاطته بكل شيء، وذَكر أنه جل وعلا موصوف بما وَصف به نفسه، وغير ذلك مما بيَّنه في هٰذه الخطبة.

وأمّا خطبة الحاجة المشهورة التي وردت في حديث ابن مسعود وغيره، مِن أنّ النبي ﷺ كان يقول بين يدي حاجاته "**إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه**..."[1] إلىٰ آخره، فهٰذه مشروعةٌ بين يدي الحاجات وكثيرا ما كان يقولها عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ولكن ليس هٰذا أمرا مُطَّرِدًا، ولهٰذا أهل العلم تارة يبدؤون كتبَهم وخطبهم ومؤلفاتهم بتلك الخطبة المعروفة بخطبة الحاجة، وتارة يجعلون خطبهم مذكورة بما يريدون ذكره في خطبتهم أو مؤلفهم أو رسالتهم، وهٰذا هو الذي أسلفتُ لك أنّه يسمىٰ براعة الاستهلال، ولهٰذا يجتهد أهل العلم في الابتداء بمثل هٰذا اللفظ العظيم الموجز الذي يدلّ علىٰ المراد، بل ويتنافس العلماء في أن يُضمِّنوا صدور خطبهم لكتُبهم ولغيرها ما يريدون إيضاحه في كُتبهم أو في خطبهم ونحو ذلك.

المسألة الثانية أن مباحث الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة مبنية علىٰ شرح أصول الإيمان الستة؛ ألا وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ.

فالإيمان بالله يشمل الإيمان بأنه جل وعلا واحد في إلٰهيته مستحق للعبادة دونما سواه، والإيمان بأسمائه جل وعلا وصفاته وأنه واحد في أسمائه وصفاته لا شبيه له ولا مثيل في أسمائه وصفاته.

وهٰذا البحث -أعني الكلام علىٰ الإيمان بالله- لم يكن في أوّل الإسلام -يعني في القرون الأولىٰ-

(١) وردت عن ستة من الصحابة، وقد ألف الشيخ الألباني رسالة في تصحيحها وهي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه.

؛ لم يكن ثَمَّ حاجة إلىٰ إفراد الكلام عن توحيد الألوهية بخصوصه؛ وإنما كانوا يكتفون بالإجمال فيه لأجل عدم وقوع الشرك في هٰذه الأمة وعدم ظهوره، فكانت جُلّ مباحث الاعتقاد فيما يتّصل بمبحث الإيمان بالله عن الأسماء والصفات، وغيرُها يُعرض له بشكلٍ من الإجمال، لكن لمّا ظهر الشركُ وفشا كان لزاما أن يُفرد هٰذا بالتصنيف.

ولهٰذا لا تجد في مباحث الاعتقاد التي في هٰذه الرّسالة الكلام مفصّلا عن توحيد العبادة وعن توحيد الإلهية بما اعتنىٰ به العلماء من بَعد، وإنما تجد الكلام مفصلا في مباحث توحيد الأسماء والصفات، وهٰذا لأجل الحاجة إليه في زمن تأليف مثل تلك الرسالة، فكُلَّما كانت حاجة العباد إلىٰ إيضاح أمر أكثر كلما اعتنىٰ به أهل العلم وأظهروهُ.

إذن كتبُ توحيد الإلـهية توحيد العبادة مثل كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول ونحوها من الكتب هٰذه فيها بيان لتوحيد الإلهية الذي هو أحد مباني العقيدة في ركنه الأول وهو الإيمان بالله.

ثم يذكر الإيمان بالملائكة والكتب والرسل -كما سيأتي إيضاحه إن شاء اللهُ تعالىٰ-.

ثم الإيمان باليوم الآخر وهٰذا يدخل فيه الإيمان بالغيبيات، إذا أتىٰ أهل العلم للكلام علىٰ اليوم الآخر والإيمان به فإنهم يذكرون الكلام علىٰ الغيبيات وما يجب علىٰ المسلم اعتقادُه فيها، وطريقة أهل السنة والجماعة فيها المخالِفة والمنابِذة لطرق أهل الزيغ والضلال والبدعة، ثم الإيمان بالقدر خيره وشرّه.

فإذا تَمّ بيان أركان الإيمان الستة ذكروا ما يتبع ذلك من أمور الاعتقاد التي اعتنىٰ بها أهل السنة والجماعة؛ وهي في أصلها ليست من مسائل الاعتقاد، لكنّها أُدرجت في مسائل الاعتقاد لأجل الحاجة إليها من جهة أنّ أهل السنة والجماعة خالفوا فيها أهل الزيغ والضلال وأهل البدعة والفرقة:

من مثل الكلام في الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ومن مثل الكلام في أمهات المؤمنين وحق أمهات المؤمنين جميعا علىٰ المؤمنين بعامة.

ومن مثل الكلام في الإمامة وما يجب من طاعة أولي الأمر في المعروف، وأن الإمامة واجبة، وأن

البيعة للإمام الذي بُويع أنها متعيِّنة، ولا يجوز الخروج علىٰ الأئمة بِجَوْرِهم وتجب الصلاة خلفهم والجهاد معهم، ونحو ذلك من مباحث الإمامة التي خالف بها أهل السنة والجماعة الخوارج والمعتزلة ومن شابههم.

كذلك يذكرون من مباحث الاعتقاد مثل المسح علىٰ الخفين، وذلك مخالفة لمن لا يرىٰ المسح علىٰ الخفين.

كذلك يذكرون في مباحث الاعتقاد كرامات الأولياء وما يُجري الله علىٰ أيديهم من أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات -كما هو معلوم-، ويبسطون ذلك لأجل وجود من يُخالف في الأولياء وفي كراماتهم من جهة إنكارها تارة كما فعلت المعتزلة، ومن جهة الغلو في الأولياء حتىٰ جعلتهم طائفة فوق منزلة الأنبياء.

وهكذا مسائل الأخلاق تُذكر ضمن مسائل اعتقاد أهل السنة والجماعة.

إذن فمعتقد أهل السنة والجماعة يشمل هٰذه الأمور جميعا، وليس معتقد أهل السنة والجماعة خاص بالاعتقاد في الله جلّ وعلا وأسمائه وصفاته واليوم الآخر والقدر كما قد يُظن؛ بل معتقد أهل السنة والجماعة يشمل هٰذا جميعا؛ لأنه به فارقوا أهل البدع والزيغ الذين يردُّون النصوص، ولا يلتزمون بالسنة، ولا يخضعون لها ويحكِّمونها علىٰ أنفسهم تحكيما تاما، وبهٰذا التوجّه تميَّز أهل السنة بأنهم يعظّمون السنة ويعظمون أهلها، وينبذون من خالفها أو خالف أئمتها.

إذن فنحن فيما نستقبل -إن شاء اللهُ تعالىٰ- سنعرض بإيجاز لهٰذه المباحث التي سيذكرها المؤلف بدون تطويل ولا تفصيل، مع أنّه كان ينبغي أن تُفَصَّل، لكن لما كان الوقت قصيرا فإننا نكتفي بإشارات مجملة.

[المتن]

وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ أو صَحَّ عنِ المصطفىٰ عليه السلامُ منْ صفاتِ الرحمٰنِ وَجَبَ الإيمانُ بِهِ وتَلَقِّيهِ بالتَّسْليمِ والقَبُولِ، وتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُ بالرَّدِّ والتَّأْويلِ، والتَّشْبيهِ والتَّمْثِيلِ. وما أَشْكَلَ مِنْ ذلك وَجَبَ إثْباتُه لفْظا، وتَرْكُ التَّعَرُّضِ لِمعْناه، ونرُدُّ عِلْمَه إلىٰ قائله، ونجعلُ عُهْدَتَهُ علىٰ ناقِلِه، إتِّباعا

لطريقِ الرَّاسِخين في العِلْمِ، الّذين أثْنَىٰ اللهُ علَيْهِم في كتابِهِ المُبين بقوله ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، وقالَ في ذَمِّ مُبْتَغِي التَّأْوِيلِ لمتشابِهِ تَنْزِيلِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، فَجعَلَ ابْتِغَاءَ التَّأْوِيلِ علامَةً الزَّيْغِ وقَرَنَهُ بابْتِغَاءِ الفِتْنَةِ في الذَّمِّ، ثم حَجَبَهُمْ عمَّا أَمَّلُوهُ، وقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ عمَّا قَصَدُوهُ، بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران:٧].

[الشرح]

هٰذا بيان للأصل الأول؛ ألا وهو أنّ أهل السنة والجماعة تميّزوا عن غيرهم بالتسليم لما جاء به الرسول ﷺ من القرآن العظيم ومن سنته عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فسنة النبي ﷺ وحي، والقرآن كلام الله جل وعلا، فما أتانا في الكتاب والسنة وجب اعتقاده والتسليم له، وتصديقه في الأخبار، واتباعه في الأمر والنهي والأحكام.

وهٰهنا ذكر المؤلف أن ما أشكل من النصوص وجب الإيمان به لفظا وترك التعرض لمعناه، وهٰذا لأنّ أهل السنة والجماعة قالوا: إنّ النصوص – نصوص الكتاب والسنة– واضحة بيّنة. لأن الله جل وعلا أنزل كتابه وجعله واضحا بيِّنا بلسان عربي مبين.

○ وجعله محكما كما قال جل وعلا: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود]؛ فجعل جل وعلا كتابه كلَّه مُحكما؛ يعني بيّنا واضحا لا يستبهم معناه، ولا يغمُضُ ما دلّ عليه علىٰ الناس.

○ كذلك هو جل وعلا ذكر أن كتابه متشابه، فقال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزمر:٢٣] فجعله كلّه متشابها ومعنىٰ ذلك أنه يُشبه بعضُه بعضا.

○ وفي آية آل عمران جعل جل وعلا ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[آل عمران:٧] وهٰذا يعني أنّه منه ما هو واضح بيّن، ومنه ما هو مشتبه.

فكيف نجمع بين هٰذه الآيات الثلاث؟ المؤلف ذكر الخلاصة لكن تحتاج إلىٰ إيضاح.

فنقول: القرآن محكم كلُّه، ومتشابه كلُّه، ومنه محكم ومنه متشابه:

فالإحكام بمعنىٰ الوضوح والبيان فهو كلُّه واضح بيّن علىٰ جنس الأمة، قد لا يكون واضحا بيّنا لكل أحد، ولكنه واضح بيّن لجنس الأمة.

كذلك وصفه بأنه متشابه بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزمر:٢٣] يعني يشبه بعضه بعضا، فهٰذا أمر وهٰذا أمر، وهٰذا نهي وهٰذا نهي، وهٰذا خبر وهٰذا خبر، وهٰذا وصف للجنة وذاك للجنة، وهٰذه قصة لنبي من الأنبياء وهٰذه قصة للنبي نفسه، وهكذا فبعضه يشبه بعضا.

أمّا الثالث -يعني القسم الثالث- هو ما ذُكر في آية آل عمران بقوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾[آل عمران:٧] يعني بعضه محكم واضح المعنىٰ بيِّن الدِّلالة، وبعضه ليس كذلك؛ مشتبه المعنىٰ ومشتبه الدِّلالة، وهٰذا المشتبه المعنىٰ والمشتبه الدِّلالة لا يوجد في القرآن ولا في السنة عند أهل السنة والجماعة بمعنىٰ التشابه المطلق؛ يعني أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[آل عمران:٧] يُعنىٰ به التشابه النسبي الإضافي؛ يعني أنه يشتبه علىٰ بعض الناس دون بعض، أمّا التشابه المطلق بحيث يقال: هٰذه الآية من المتشابه، أو يقال: ﴿الٓمٓ﴾[1] هٰذا من المتشابه يعني لا أحد يعلم معناه، فهٰذا من الخطأ، ولا يقول به أهل السنة؛ بل أهل السنة يقولون: إنه يُمكن أن توجد الآيات تشتبه علىٰ بعض أهل العلم فلا يُعلم معناها. لا يُعلم معناها من جهة هٰذا المطالع، لكن ليس من جهة الأمة بأجمعها، فيعلم بعض أهل العلم المعنىٰ، والبعض الآخر لا يعلم المعنىٰ، ولهٰذا ابن عباس لمّا تلا هٰذه الآية قال ''أنا ممن يعلمون تأويله''.

فإذن يُقال: هٰذه الآية من المتشابه لا يوجد المتشابه المطلق؛ يعني الذي لا يعلم أحدٌ معناه، بل لابد أن يوجد في الأمة من يعلم معنىٰ كل نص، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، نزل ليهتدي به الناس، كذلك السنة، فلا يوجد نص يَسْتَبْهِم علىٰ جميع أهل العلم وعلىٰ الأمة، لا، وهٰذا القول بأنه هناك ما يستبهم علىٰ الجميع، ولا يفهم معناه الجميع، هٰذا إنما هو قول أهل البدع.

---

(١) البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة: الآية (١).

فإذن المؤلف هنا قسم إلىٰ قسمين:

باعتبار بعض الناس لا باعتبار الجميع فقال: **النصوص نتلقاها بالتسليم والاعتقاد من غير أن نرُدها أو نُشبِّه أو نمثل**. وهٰذا هو في القسم الأول يعني الآيات المحكمات الواضحات.

ما اشتبه عليك قال: **وجب الإيمان به لفظا**. وهٰذا اللفظ الذي ذكره في قوله: (**وجب الإيمان به لفظا**) مما أُنتقد علىٰ الإمام موفَّق الدين بن قدامة فإنه في هٰذه العقيدة الموجزة أُنتقدت عليه ثلاث مسائل هٰذه أوَّلُها وهي قوله: (**وجب الإيمان به لفظا**) ويمكن أن يُخَرَّجَ كلامه يعني أن يُحمل علىٰ محمل صحيح.

أما الانتقاد فهو أن يُقال: إن الواجب أن نؤمن به لفظا ومعنىً، لكن إذا جهلنا المعنىٰ نؤمن بالمعنىٰ علىٰ مراد الله جل وعلا، أو علىٰ مراد رسوله ﷺ ،كما سيأتينا من كلمة الإمام الشافعي أنه قال: (**آمنتُ باللهِ وبما جاءَ عَن اللهِ علىٰ مُرادِ اللهِ، وآمنتُ برسولِ اللهِ ﷺ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ مُرادِ رسولِ اللهِ**) يعني إذا جهل المعنىٰ، فإذا جهلتَ المعنىٰ تؤمن باللفظ والمعنىٰ لكن المعنىٰ علىٰ مراد من تكلَّم به، ووجه الانتقاد الذي أُنتقد به الإمام ابن قدامة في هٰذه اللفظة أنه يجب الإيمان باللفظ والمعنىٰ.

أمّا الإيمان بلفظ مجرد عن المعنىٰ فهٰذا هو قول أهل البدع؛ الذين يقولون: نحن نؤمن بألفاظ الكتاب والسنة دون إيمانٍ بمعانيها لأن معانيها قد تختلف.

والجواب أن هٰذا غلط؛ بل معاني الكتاب والسنة هي علىٰ المعنىٰ العربي، فالقرآن نزل بلسان عربي، والنبي ﷺ تكلَّم بلسان عربي، فلهٰذا وجب أن يُؤْمَنَ بالكتاب والسنة علىٰ ما تقتضيه لغة العرب، وعلىٰ ما يدلّ عليه اللسان العربي، وهٰذا أصل من الأصول.

لكن إذا اشتبه عليك المعنىٰ؛ كلمة في القرآن ما علمت معناها، حديثا إمّا في الصفات أو في الغيبيات لم تعلم معناه، نقول نؤمن به لفظا ومعنىً؛ يعني معناه مفهوم، لكن علىٰ مراد الله، ومراد رسوله ﷺ، وهٰذا هو الذي جاء في الآية حيث قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ

﴾[آل عمران:٧].

هنا قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ماذا يُعنىٰ بهٰذا التأويل؟ إذا قلنا: إن كلَّ آية لابد أن نعلم معناها وكل حديث لابد أن يوجد في الأمة من يعلم معناه فما معنىٰ قوله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؟

الجواب: أن ما أنزل الله جل وعلا علىٰ قسمين:

١. إمّا أن يكون أخبارا. وتأويل الأخبار يكون بوقوعها.

٢. وإمّا أن يكون أحكاما. وتأويل الأحكام -الأمر والنهي- يكون بإيقاعها.

فقول الله جل وعلا هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعني تلك الأخبار ما يعلم تأويلها إلا الله، لأن الله جل وعلا هو الذي يعلم حقيقة ما تؤول إليه، أو يعلم ما تؤول إليه حقيقة تلك الألفاظ وتلك الآيات، وذلك أنّ التأويل في القرآن أتىٰ بمعنيين لا ثالث لهما:

الأول: التأويل بمعنىٰ ما تؤول إليه حقيقة الشيء وهٰذا كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾[الأعراف:٥٣] الآية ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ يعني ما تؤول إليه حقيقة أخباره وأحكامه، فحقيقة الأخبار تؤول إلىٰ ظهورها من الصفات والغيبيات، كذلك الأحكام حقيقتها تؤول إلىٰ ظهور أثر من تمسّك بها وامتثلها ممن عصىٰ وخالف، هٰذا المعنىٰ الأول.

المعنىٰ الثاني: وهو فرع عن هٰذا، التأويل بمعنىٰ التفسير قال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف] ﴿بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ يعني بتفسير الرؤيا، وهٰذا مرتبط بالمعنىٰ الأول؛ يعني الحقيقة التي تؤول إليها الرؤيا في الواقع المشاهَد.

فإذن قوله هنا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ليس هو التأويل الحادث الذي يقوله بعض أهل الأصول؛ وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلىٰ غيره لمرجح أو لقرينة تدل عليه. لا، هٰذا إنما هو اصطلاح حادث، أما التأويل فهو في القرآن والسنة له معنيان لا غير.

فإذن قوله هنا ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإذا كان في آيات الصفات ووقفنا علىٰ هٰذه الآية وقلنا:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ووقفنا، فنريد بالتأويل ما تؤول إليه حقيقة الأسماء والصفات؛ يعني الكيفية لا يعلم الكيفية؛ وهي الحقيقة التي تؤول إليها آيات الأسماء والصفات والأحاديث التي فيها الأسماء والصفات، لا يعلم كيفية اتّصاف الله جل و علا بها إلا هو سبحانه، وإذا أُريد بالتأويل معنىٰ التفسير لا الكيفية فإنّ الراسخين في العلم يعلمون، ولهٰذا طائفة من السّلف يرون الوقف علىٰ كلمة ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ يقولون: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ويقف؛ لأنّ الراسخون في العلم يعلمون المعنىٰ، لكن لا يعلمون الكيفية، فإذا كان الاشتباه واقع في المعنىٰ كان الراسخون في العلم ممن يعلمون، وإذا كان الاشتباه وقع في الكيفية كان العلم مقصورا علىٰ ربِّ الأرض والسمٰوات.

وهٰذا معنىٰ قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولهٰذا قال ابن عباس: أنا ممن يعلم تأويلَه.

[المتن]

قالَ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ ﷺ في قولِ النَّبي ﷺ: «إنَّ اللهَ ينزِلُ إلىٰ سماءِ الدُّنْيَا»(١) و«إنَّ الله يُرىٰ في القيامَةِ»(٢) وما أشبه هٰذه الأحاديثَ، قال: نؤمِنُ بها ونُصَدِّقُ بها لا كَيْفَ ولا مَعْنَىٰ ولا نَرُدُّ شيئا منْها، ونَعْلَمُ أنَّ ما جاءَ به الرَّسولُ حقٌّ، ولا نَرُدُّ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ولا نَصِفُ اللهَ بأكْثَرَ مما وَصَفَ بِهِ نفسَهُ، بِلاَ حَدٍّ ولا غايَةٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]. ونقولُ كما قالَ، ونَصِفُهُ بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لا نَتَعَدَّىٰ ذلك، ولا يَبْلُغُهُ وصفُ الواصِفِينَ، نُؤْمِنُ بالقرآنِ كُلِّهِ مُحْكَمُهُ ومُتَشَابِهُهُ ولا نُزِيلُ عَنْهُ صفةً مِنْ صفاتِه لشَنَاعَة شُنِّعَتْ، ولا نَتَعَدَّىٰ القرآنَ والحديثَ، ولا نَعْلَمُ كيفَ كُنْهُ ذلك إلاَّ بتصديقِ الرَّسولِ ﷺ وتَثْبِيتِ القرآنِ.

[الشرح]

هٰذا الكلام من إمام أهل السنة والجماعة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المتوفىٰ سنة ٢٤١هـ الإمام الذي نصر الله جل وعلا به السنة وقمع به البدعة، وجعله جل وعلا في وقته ميزانا

(١) «صحيح البخاري» (ح١١٤٥)، و«صحيح مسلم» (ح٧٥٨).

(٢) «صحيح مسلم» (ح١٨١)، بمعناه.

يُوزن به الناس، يقول فيه: إننا نؤمن بما جاء من النزول-وغير ذلك من آيات الصفات- كما جاء، لا نتجاوز القرآن والحديث، قال: بلا كيف ولا معنىٰ. وهٰذا الكلام منه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ رحمة واسعة، أشكل علىٰ بعضهم كيف يقول: بلا كيف ولا معنىٰ؟

وحقيقة هٰذا اللفظ الذي ورد عنه أنه يوافق مذهب المفوّضة، والمفوضة طائفة كانت تقول: نؤمن بالألفاظ بلا معاني، يعني نفوّض المعنىٰ والكيفية جميعا، وهٰذا معتقد باطل وبدعة شنيعة، وإنما الواجب تفويضُ العلم بالكيفية، أما المعنىٰ فهو ظاهر لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، فإذا كان أهل السنة والجماعة يؤمنون بالألفاظ والمعاني؛ يعني بما دل عليه اللفظ من كلام العرب، فكيف إذن يُحمل كلام الإمام أحمد بقوله: (**بلا كيف ولا معنىٰ**) وهٰذه أيضا مما أُخذ علىٰ المؤلف حيث لم يُوضِح المراد بكلمة الإمام أحمد.

وأهل العلم يقولون: إن الإمام أحمد أراد بقوله: (**بلا كَيْفَ ولا مَعْنَىٰ**) الرد علىٰ طائفتين:

١. الطائفة الأولىٰ المشبهة المجسمة رد عليهم بقوله: (**بلا كَيْفَ**) يعني الكيفية التي تتوهمها العقول، أو وَصَفَ اللهَ جل وعلا بها المجسمة أو الممثلة.

٢. وقوله: (**ولا مَعْنَىٰ**) ردّ بها رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ المعطلة، الذين جعلوا معاني النصوص علىٰ خلاف الظاهر المتبادر منها، فقالوا: إن معنىٰ النزول الرحمة، وقالوا: إن معنىٰ الاستواء الاستيلاء، وقالوا: إن معنىٰ الرحمة الإرادة؛ إرادة الإحسان أو إرادة الخير، وإن الغضب معناه إرادة الانتقام ونحو ذلك، فهٰذا تأويل منه.

فالإمام أحمد يقول: (**بلا كَيْفَ**) الكيف الذي جعله المجسمة، (**ولا مَعْنَىٰ**) الذي جعله المعطلة، يعني المعنىٰ الباطل الذي صرف الألفاظ إليه المبتدعة المؤولة.

فإذن قوله: (**بلا كَيْفَ ولا مَعْنَىٰ**) يريد بقوله: (**ولا مَعْنَىٰ**) المعنىٰ الباطل الذي تأوَّلَ به وإليه المبتدعة نصوص الصفات والنصوص الغيبية.

وهٰذا نأخذ منه **قاعدة مهمة**: وهي أن طالب العلم الذي يعتني بأمر الاعتقاد يجب عليه أن يفهم اعتقاد أهل السنة والجماعة تماما، فإذا فهمه وورد بعد ذلك ألفاظ مشكلة عن الأئمة، عن التابعين،

من تبع التابعين، عن بعض الأئمة فإنه بفهمه للاعتقاد الصحيح سيوجّه معناها إلىٰ معنىٰ مستقيم، لأنه لا يُظن بالإمام أحمد وهو إمام أهل السنة والجماعة الذي حكم بالبدعة علىٰ المفوضة أنه يقول: (ولا مَعْنَىٰ) يعني ليس للآيات والأحاديث معنىٰ يفهم بتاتا.

فإذن فهمُك لأصول الاعتقاد وأصول ما كان عليه أهل السنة والجماعة، وضبطُك لذلك، به يمكنك أن تجيب علىٰ كثير من الإشكالات.

ونحن في هٰذا الزمان ربما كتب بعض الناس كتابات في أنّ السلف يقرّون التأويل، وأنه وُجد التأويل للصفات في زمن الصحابة، أو وجد في زمن الصحابة من ينكر بعض الصفات، أو وجد في التابعين من يؤول، والإمام أحمد أوَّلَ، ونحو ذلك، وهٰذا من جرّاء عدم فهمهم لأصول أهل السنة والجماعة، وابتغاء الفتنة، وابتغاء التأويل الذي وصف الله جل وعلا به الزائغين.

وإذا فهمت الصواب وفهمت المنهج الحق والاعتقاد الحق فإنه يمكن بذلك أن تجيب عن ما ورد عن بعض أئمة أهل السنة من ألفاظ ربما خالف ظاهرُها المعتقد، أو ظُنّ أن فيها شيء من التأويل، يمكن أن تجيب عليها بأجوبة محققة واضحة.

وهٰذه قاعدة مهمة؛ مثل ما ترون من كتابات نُشرت فيما مضىٰ، بل ربما تنشر إلىٰ الآن، من أن الأمر في التأويل وأمر الاعتقاد، السلف اختلفوا في الاعتقاد فلا تجعلوا الاختلاف في العقيدة سبب للتفريق وسبب لكذا، ثم يَستدل ببعض أقوال الإمام أحمد، ببعض أقوال الصحابة، وبعض أقوال التابعين، وهو كأنما يتصيَّد تلك ليُلبِّس بها، ولو كان يفهم معتقد أهل السنة والجماعة فهما كاملا لأَمكَن الإجابة عن تلك بوضوح.

وذلك من مثل ما يُذكر؛ بل ما ثبت عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[القلم] قال: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعني يكشف عن شدة، كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها يعني كشفت الحرب عن شدة وبأس، عن الشدة والبأس، قال فهٰذا: ابن عباس لا يثبت صفة الساق لله جل وعلا. وأين هٰذا من المدَّعىٰ؟ لاشك أن هٰذا خلاف ما يقتضيه العلم؛ كون هٰذا القول ثابتا عن ابن عباس ﷺ لا يعني أنه ينفي صفة الساق؛ لأن صفة الساق جاءت

موضَّحة في حديث أبي سعيد الخدري وفي غيره؛ حيث قال: «**ثم يكشف ربنا عن ساقه**»[١] فإذا أضيف لم يحتمل إلا الصفة؛ لأن الذوات إذا أضيفت فإمّا أن تقتضي الإضافة التشريف أو الصفة، وهٰذا لا يقتضي التشريف وإنما يقتضي الوصف.

وأما إذا لم يُضف في الآية فصحيح يمكن أن يحمل علىٰ ما فسرت به العرب من أنها تقول: كُشف اليوم عن ساق يعني عن شِدّة؛ لأنه في الآية لم ترد مضافة، فاحتمل أن يكون المراد الكشف عن الشدة.

ولهٰذا فسر ابن عباس وغيره الآية بهٰذا، بينما نقول: إن الصحيح هو ما فسّر الآية به عامة الصحابة والتابعين من أن المراد بـ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أنه يكشف عن ساق الله جل وعلا، لأنه دل علىٰ ذلك، وفسره النبي ﷺ، وهل يؤخذ تفسير القرآن عن أحد أفهم من رسول الله ﷺ، وهو عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بيَّن ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه غيره أيضا؟.

[**المتن**]

قالَ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ رضي الله عنه ''آمنتُ باللهِ وبما جاءَ عَن اللهِ علىٰ مُرادِ اللهِ، وآمنتُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ علىٰ مُرادِ رسولِ اللهِ''.

وعلىٰ هٰذا دَرَجَ السَّلَفُ وأَئِمَّةُ الخَلَفِ رضي الله عنهم، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ علىٰ الإقْرارِ، والإمْرارِ والإثْباتِ لما وَرَدَ مِن الصِّفاتِ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لتأْوِيلِهِ.

وقد أُمِرْنا بالاقْتِفَاءِ لآثارِهِمْ والاهتداءِ بمنارِهِم، وحُذِّرْنا المُحْدَثاتِ، وأُخْبِرْنا أنَّها مِنَ الضَّلالاتِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ، وَإِيّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمُورِ، فَإِنّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».[٢]

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ﴿يوم يكشف عن ساق﴾، حديث رقم (٤٩١٩).

(٢) «**جامع الترمذي**» (ح٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح، و«**سنن أبي داود**» (ح٤٦٠٧)، «**سنن ابن ماجه**» (ح٤٢، ٤٣)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

[الشرح]

كلام الإمام الشافعي واضح، وقد استدل به المؤولة بأن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لا يعلم معاني تلك الآيات والأحاديث التي في الصفات، فقال "آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله وآمنت برسول الله ﷺ وما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله ﷺ" فقالوا: هٰذا يعني أنه أحال المعنىٰ علىٰ مراد من تكلم به، وهٰذا يدل علىٰ أنه لم يفهم المعنىٰ، وهو الإمام الشافعي.

والجواب: أنه لم يُرد ذلك، وإنما هٰذا إيمان مجمل، فنحن نقول كما قال الإمام الشافعي: آمنا بالله وبما جاء عن الله فيما علمنا وما لم نعلم علىٰ مراد الله. هٰذا يقتضي تمام التسليم وتمام الامتثال لما أُمرنا به، كذلك: آمنا برسول الله ﷺ وبما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مراد رسول الله ﷺ ما علمنا من النصوص وما لم نعلم.

فهٰذا إيمان مجمل، معناه أننا لا نترك شيئا مما جاء عن الله ولا عن رسول الله ﷺ إلا ونحن مؤمنون به ما علمنا منه وما لم نعلم كل من عند ربنا.

والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال هٰذه الكلمة إتباعا لما أمر الله جل وعلا به في كتابه حيث قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧]، فما علمنا معناه واضح الإيمان به، وما جهلنا معناه واشتبه علينا نقول: آمنا به علىٰ مراد ربنا جل وعلا وعلىٰ مراد رسولنا ﷺ، حتىٰ نسأل فيه أهل العلم، فإذا سألنا فيه أهل العلم وبينوا لنا معاني الكتاب والسنة هنا نعتقد المعنىٰ كما نعتقد في الألفاظ.

ثم ذكر أن التأويلات هٰذه مُحْدَثة، وهٰذا ظاهر بيّن فإن الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ تلقوا النصوص من الكتاب والسنة بالتسليم.(١)

بل إن هٰذا الأمر وهو حال الصحابة رضوان الله عليهم مع نصوص الكتاب والسنة هو الذي هدىٰ اللهُ جل وعلا به بعض كبار الأشاعرة؛ مثل الجويني له رسالة مشهورة، وكان مما قال فيها: أنني وجدت النبي ﷺ يأتيه الأعرابي وغير الأعرابي، والذكي والبليد، والفطن وغير الفطن، فيسمعون منه

(١) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الأول

الآيات المشتملة علىٰ الصفات التي يقتضي ظاهرُها التشبيه والتمثيل؛ يعني عند المؤولة، ويسمع الآيات التي تشتمل علىٰ الأمور الغيبية، ثم إن النبي ﷺ لا يُتبع ذلك ببيان يقول فيه ولو مرة واحدة: لا تعتقدوا ظواهر هٰذه النصوص فإن لها معاني تخفىٰ. فيأتيه الأعرابي من البادية فيسمع القرآن، ويأمره الرسول ﷺ أن يؤمن بالكتاب، وبما يسمع من كلام النبي ﷺ بما يفهمه من معنىٰ لغة العرب. قال: وفيهم الذكي والبليد والمتعلم والجاهل.. إلىٰ آخره من أصناف الناس، قال: وهٰذا يدل دلالة واضحة بينة علىٰ أن ظواهر هٰذه النصوص مُراد، وأنه لا يجوز تأويلها بحال؛ لأنه لو جاز تأويلها حيث إنّ ظاهرها يوهم المشابهة والمماثلة لوجب علىٰ النبي ﷺ أن يبين ذلك للأعراب الذين يأتونه من بقاع شتىٰ وهم علىٰ جهل وعلىٰ عدم علم وربما توهمت أنفسهم في تلك المعاني ظاهر ما يدل عليه اللفظ. فقال: لمَّا لم يتبع ذلك ببيان دل علىٰ أن ظواهر النصوص مُرَادٌ، وأنّ الإيمان بتلك النصوص واجب علىٰ ما ظهر من معناها علىٰ قاعدة قطْع المماثلة التي ذكر الله جل وعلا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

إذن في عهد الصحابة لم يحدث تأويل ولم يحدث خلاف في الاعتقاد، وكذلك في عهد التابعين، حتىٰ بدت في أواخر عهد التابعين الضلالات تظهر مع طوائف من الخوارج، ثم المعتزلة ثم انتشر ذلك في الأمة، وهٰذا يدلّك علىٰ أنّ التأويل والمخالفة في النصوص؛ في التسليم للنصوص أنّ هٰذا من البدع والمحدثات، والبدع والمحدثات مردودة «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[1] من أحدث في أمرنا هٰذا في الأمور العلمية ما ليس منه فهو رد، يعني مردود علىٰ صاحبه ومن أحدث في أمرنا هٰذا مما في الأمور العملية ما ليس منه فهو رد؛ مردود علىٰ صاحبه، وهٰذا يدخل فيه الأمور العلمية والعملية.

وهٰذا كما سيأتي من كلام ابن مسعود ﷺ حيث قال " اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ ".

(١) «صحيح البخاري» (ح٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» (ح١٧١٨).

[المتن]

وقالَ عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ".

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ﷺ كلامًا معناهُ "قِفْ حيثُ وَقَفَ القومُ، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وببَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ عَلَىٰ كَشْفِها كانوا أَقْوَىٰ، وبالفَضْل لوْ كانَ فيها أَحْرَىٰ، فَلَئِنْ قُلْتُمْ حَدَثَ بَعْدَهُم، فَمَا أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خَالَفَ هَدْيَهُمْ، وَرَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِمْ، ولقَدْ وَصَفُوا مِنْهُ ما يُشْفِي، وتَكَلَّمُوا مِنْه بما يَكْفي، فَما فَوْقَهُم مُحَسِّرٌ، وما دونهم مُقَصِّرٌ، لَقَدْ قَصُرَ عَنْهُم قَوْمٌ فَجَفَوْا، وَتَجاوَزَهُمْ آخرُون فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ فِيما بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ مستقيمٍ".

وقالَ الإمامُ أبو عمْرٍو الأوزاعيُّ ﷺ: "عليْكَ بآثارِ مَنْ سَلَفَ وإنْ رَفَضَكَ النّاسُ، وإيّاك وآراءَ الرِّجالِ وإنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقوْلِ"

[الشرح]

رضي الله عن عمر بن عبد العزيز فقد نصحنا بنصيحة شافية كافية لو كان في القلوب حياة، قال: "عليك بآثار من سبق" ثم وصف من سبق وهم الصحابة ﷺ، بأنهم علىٰ علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، فقسم حال الصحابة إلىٰ قسمين:

الأول: أنهم وقفوا علىٰ علم؛ فهم أعلم الناس، أعلم هٰذه الأمة هم صحابة رسول الله ﷺ، وهم أحرىٰ بالعلم من غيرهم، وما بعدهم ينقص فيهم العلم، فالصحابة هم أهل العلم، وأهل الإدراك، وأهل العقول المستقيمة، وأهل الأفهام المستنيرة، هم أهل فهم الكتاب والسنة، وتفسير الكتاب والسنة إنما يؤخذ من مشكاة الصحابة رضوان الله عليهم، وصفهم عمر بن عبد العزيز ﷺ بقوله "فإنهم علىٰ علم وقفوا" وقفوا علىٰ علم؛ العلم عن رسول الله ﷺ، أو علىٰ علم علموه من الكتاب والسنة بما فهموه بما تقتضيه لغة العرب، أو بما علّمه بعضهم بعضا، فما ذكروه من المسائل ذكروه علىٰ علم وعلىٰ بصيرة، هٰذا القسم الأول.

والقسم الثاني: ما كفوا عنه وسكتوا عنه، قال: "وببصر نافذ كفوا" ببصر كفوا عمّا كفُّوا عنه، فلم يدخلوا في مسائل مما دخل فيها ممن بعدهم، لأجل عجزهم؟ لا، ولكن لأجل نفوذ بصرهم وبصيرتهم وفهمهم وإدراكهم وعِلمهم، فإنهم تكلموا فيما تكلموا فيه علىٰ علم وقفوا عليه، وما

سكتوا عنه أو لم يدخلوا فيه فإنهم كفوا عنه ببصر وبصيرة.

وهٰذا الذي يجب، فإنه يجب علينا أن ننبذ الآراء والعقول والأفهام التي تُخالف ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد جميعا، بل وفي أمور الدين جميعا، فكل ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ فهٰذا هو الميزان المستقيم الذي تزن به فهمك، وتزن به الأحوال والأمور والفئات والناس، لأننا أُمرنا بالاتباع، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أوصانا بهٰذه الوصية الكافية الشافية؛ بأننا نتّبع الصحابة لأنهم تكلموا فيما تكلموا فيه علىٰ علم، فهدي الصحابة واجب الاتباع، سواء كان ذلك في الأمور الاعتقادية، أو كان ذلك في الأمور العملية، أو كان ذلك في الأمور السُّلوكية؛ يعني في أمور الأخلاق والعبادات والزهد ونحو ذلك، فما جاوز طريقتهم فهو غلو، وما قَصُرَ عن طريقتهم فهو تحسير، فما دونهم مقصر، وما زاد علىٰ ما أتوا به فهو من الغلاة والذين سيكون مآلهم إلىٰ التقصير والحسرة.

فهٰذا كلام عمر بن عبد العزيز كمنهج عام، وهو الذي اتبعه الأئمة في أبواب الاعتقاد والعمل والسلوك إلىٰ آخره.

فقالوا: ما جاء عن الصحابة نأخذه، فمنهاج الصحابة هو الميزان، وفهم الصحابة هو الميزان، وطريقة الصحابة هي الميزان، فهم أهل العلوم وأهل العقول وأهل الأفهام، وما حدث بعدهم فإنما حدث بالرأي، مثل ما أوصاك به أبو عمرو الأوزاعي الإمام المشهور إمام أهل الشام البيروتي حيث قال: (وإيّاك وآراءَ الرِّجالِ وإنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بالقوْلِ) وإن زخرفوا الآراء بالأقوال، ونمّقوا القول وزخرفوه وجملوه، فإياك وإياه، لا ترغب عن السنة لأجل تحسين من حسّن رأيه بألفاظ، وخُذ بالسنة وبما جاء عن أهلها وإن كان أهلها لا يحسنون اللفظ ولا تجميله؛ لأن الميزان هو الاتباع، فمن اتبع فهو الناجي، ومن ابتدع فهو الهالك، وقانا وإياكم سُبُل الهلاك.

❀❀◈❀❀

[المتن]

وقالَ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأَدْرَمِيُّ لرَجُلٍ تكَلَّمَ ببدْعَةٍ وَدَعَا الناسَ إليها: هَلْ عَلِمَهَا رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكْرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ أوْ لَم يعلَموها؟ قال: لَم يعلَموها، قال: فَشَيْءٌ لَم يعلَمْه هؤلاء أَعلِمْتَهُ

أنتَ؟ قال الرَّجلُ: فإنِّي أقولُ قدْ علِمُوها، قال: أَفوَسِعَهُمْ أنْ لا يتكَلَّمُوا به ولا يدْعُوا الناسَ إليه، أمْ لَم يَسَعْهُمْ؟ قال: بَلْ وَسِعهُمْ، قال: فَشَيْءٌ وَسِعَ رسولَ اللهِ ﷺ وخلفاءَه، لا يَسَعُكَ أنتَ؟ فانْقَطَعَ الرَّجلُ، فقال الخليفةُ، وكان حاضِرا: لا وَسَّعَ اللهُ علىٰ مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَهُمْ.

وهكذا مَنْ لَم يَسَعْهُ ما وَسِعَ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه والتَّابعين لَهُم بإحسانٍ، والأئمةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، والرّاسِخين في العِلْم، مِنْ تِلاوَةِ آيات الصِّفاتِ وقِراءَةِ أخْبارِها، وإمْرارِها كما جاءَت، فلا وَسَّعَ اللهُ عليه.

فمِمَّا جاءَ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ قولُ الله عزّ وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحمٰن:٢٧]، وقولُه ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، وقولُهُ تعالىٰ إخْبارًا عنْ عيسىٰ عليه السلامُ أنَّه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]، وقولُه سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٢٢]، وقولُه تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾[البقرة:٢١٠]، وقولُه تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

[الشرح]

هٰذا شروع في ذكر آيات الصفات، أو نصوص الصفات التي اشتملت علىٰ ذكر أسماء الله جل وعلا أو ذكر صفاته، وصفات الله جل وعلا تنقسم بأحد الاعتبارات إلىٰ قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

فالصفات الذاتية هي التي لا تنفكّ عن الموصوف مطلقا، وهي في حق الله جل وعلا التي لم يزل الله جل وعلا متصفا بها، يعني لا يتصف بها في وقت دون وقت، بل اتصافه بها جل وعلا دائما؛ من مثل صفة الوجه، كما قال جل وعلا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:٢٧]، ومن مثل صفة اليدين كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ونحو ذلك من صفات الذات.

وقوله هنا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:٢٧] هٰذه أول الآيات التي ذكر، وهٰذه الآية صريحة في

إثبات صفة الوجه لله جل وعلا، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وجه الدلالة منه أنه أضاف الصفة -التي هي الوجه- إلىٰ المتصف بها؛ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾.

ونحن نعلم أنه ما يُضاف إلىٰ الله جل وعلا -**وهٰذه قاعدة**-:

- تارة يكون معنىٰ.
- وتارة يكون ذات.

مثال المعنىٰ مثل الرحمة، والغضب، والرضا، فنقول: رضا الله، رحمة الله ونحو ذلك، وهٰذا إضافة معنىٰ إلىٰ الله جل وعلا.

وإذا كان ذاتا: فتارة تكون ذاتا تقوم بنفسها، وتارة لا تقوم بنفسها، أما إضافة الذات؛ يعني إلىٰ شيء يكون ذاتا، تارة هٰذا الذي يكون ذاتا -يعني مستقل له معنىٰ، يعني شيء محسوس، يعني يمكن أن تفهمه بأنه ليس وصفا بدون ذات ولكنه ذات-:

هٰذا تارة يكون قائما بنفسه مثل قوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾[الشمس] فهنا أضاف الناقة إلىٰ نفسه جل وعلا فقال: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ والبيت بيت الله كما جاء في الحديث «**ثم خرج إلىٰ بيت من بيوت الله**» أو «**ثم مشىٰ إلىٰ بيت من بيوت الله**»[1] فهٰذا أضاف البيت إلىٰ الله.

ومثل القسم الثاني وجه الله، ويد الله، وساق الله، وقدم الله، وعين الله جل وعلا ونحو ذلك.

فإذن إذا أضيف ما يقوم بنفسه، فهٰذا الأصل أنه تكون الإضافة للتشريف والتعظيم، فقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾[2] أضاف الله جل وعلا الناقة إلىٰ نفسه، ومعلوم أن الناقة ذات منفصلة تقوم بنفسها، فهٰذا يقتضي تشريف ما أضافه الله جل وعلا إلىٰ نفسه، ويقتضي تعظيمه. بيت الله كذلك.

الثاني مثل وجه الله، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠]، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾[3] ونحو ذلك، فالعين، والوجه،

---

(١) «**صحيح مسلم**» (ح٦٦٦)، وهو في «الإرواء» (ح٢٥٨١)، وقال الشيخ الألباني: لم أعرفه.

(٢) سورة: الأعراف الآية (٧٣)، هود الآية (٦٤)، الشمس الآية (١٣).

(٣) سورة: القمر الآية (١٤)، الطور الآية (٤٨)، المؤمنون الآية (٢٧)، هود الآية (٣٧).

واليد، والقدم، والساق، ونحو ذلك، هٰذه ذوات لكنها لا تقوم بنفسها، يعني لا وجود وجه بدون صاحب وجه، لا توجد يد بدون صاحب يد، لا توجد عين بدون صاحب عين، فهٰذه إذا أُضيفت إلىٰ الله جل وعلا أو إلىٰ غيره فهٰذه تقتضي الصفة لا تقتضي التشريف بها.

فإذن تلخص هنا أن الإضافة في الذوات علىٰ قسمين:

- تارة تكون إضافة للتشريف: وهو ما أضيف من الأعيان مما يقوم بنفسه.
- وتارة الإضافة تقتضي الوصف: إذا كان لا يقوم بنفسه.

فقوله هنا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحمٰن:٢٧] وجه الاستدلال أنه أضاف الوجه إلىٰ الله جل وعلا؛ فقال عزّ مِن قائل سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فأضاف الوجه إلىٰ الرب، فدلّ علىٰ أنه صفة له، المبتدعة يقولون وجه هنا بمعنىٰ الذات، يعني ويبقىٰ ربك، نقول هنا قال جل وعلا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ثم وصف الوجه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرَّحمٰن]، ولما أراد أن يصف الرب جل وعلا قال: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرَّحمٰن] فوصف الله جل وعلا في أول السورة الوجه بأنه ذو الجلال والإكرام ووصف نفسه سبحانه دون اسمه في آخر السورة بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾، وذلك أن الله جل وعلا هو ذو الجلال والإكرام وكذلك صفاته ذات جلال وإكرام.

قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤] يداه تُجرىٰ عليها القاعدة، هٰذه من آيات الصفات أم لا؟

الجواب: نعم من آيات الصفات؛ لأنه أضاف ذاتا لا تقوم بنفسها إلىٰ الله جل وعلا، أضافها إلىٰ نفسه، فدل أنه إضافة الصفة إلىٰ متصف بها، واليد في القرآن أتت تارة مفردة، وتارة مثنّاة، وتارة مجموعة:

- فأما المجموعة في قوله -يعني أيدي- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس:٧١] فجعلها أيديا قال: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ هٰذا واحد.

♦ اثنين قال﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص:٧٥]. وكما قال هنا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤] فجعلهما اثنتين.

♦ الثالث أنه ذكر يدا واحدة فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[الملك:١].

فهل هناك تعارض بين الإفراد والتثنية والجمع؟ وهل يوصف أن الله جل وعلا له يدا واحدة؟ أو يوصف بأن له يدين؟ أو يوصف بأن له أيديا؟

الجواب:أنه يوصف جل وعلا بأن له يدين.

وأما إضافة اليد الواحدة إليه جل وعلا فهٰذا من إضافة الجنس، فهٰذا معروف؛ تضيف المفرد وتريد به الجنس.

وأما الجمع في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ فهنا جمع لأن العرب من لغتها أن المثنىٰ إذا أضيف إلىٰ ضمير جمع أو تثنية فإنه يُجمع، من لغة العرب أن المثنىٰ إذا أضيف إلىٰ ضمير تثنية أو جمع فإنه يُجمع لأجل خفة اللفظ.

من مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[التحريم:٤] ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ هما امرأتان، أليس كذلك؟ فخاطبهما بقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾، والمرأتان لهما كم قلب؟ لهما قلبان؛ كل واحدة لها قلب واحد، فإذا كان كذلك فلم جمع؟ الجواب: لأن هٰذا من سَنن لسان العرب؛ أنه أضيف المثنىٰ إلىٰ ضمير تثنية أو جمع فإنه يجوز جمعه طلبا لخفة اللفظ.

فهنا في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾، ﴿أَيْدِينَآ ﴾ هنا جَمَع، وليس ثَم معارضة بين الجمع هنا وبين قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة:٦٤]، بل جَمَعَ هنا لأنه أضاف المثنىٰ أصلا إلىٰ ضمير الجمع، فجَمَعَ لأجل الخفة خفة اللفظ.

أصل الكلام: أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت **يَدَيْنَا** أنعاما، ثم صارت ﴿أَيْدِينَآ ﴾، يعني ما يقتضيه اللسان العربي، قال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾.

فإذن نصف الله جل وعلا بأن له يدين جل وعلا، والآيات التي فيها ذكر اليدين تدل علىٰ التثنية،

وأما المفرد فلا يعارض التثنية، والجمع كذلك لا يعارض التثنية.

علىٰ أن بعض أهل العلم حمل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ قال هٰذا جمع وأقل الجمع اثنان، وهٰذا إحالة إلىٰ أمر مختلَف فيه، لأن بعض أهل العلم يقول: إن أقلّ الجمع ثلاثة، ولا يسوغ في مثل هٰذه المسائل المشكلة أن يُحال إلىٰ أمر مختلف فيه، بل إلىٰ أمر متيقن منه، وهو ما نعلمه من لغة العرب بدلالة تحفظونها، والأشعار علىٰ هٰذه المسألة كثيرة والشواهد كثيرة –معروفة في النحو– لكن إن تحفظ آية سورة التحريم ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

القسم الثاني: وذكر المجيء والإتيان هٰذه صفات فعلية، والصفات الفعلية هي التي يتّصف الله جل وعلا بها بمشيئته واختياره، يعني يتّصف بها بوقت دون وقت، فهو جل وعلا ليس دائما ينزل إلىٰ السماء الدنيا، وليس دائما يجيء، وإنما يجيء إذا شاء في وقت دون وقت، فهٰذه تسمىٰ الصفات الفعلية الاختيارية.

❀❀◈❀❀

[المتن]

وقولُه تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤]، وقولُه تعالىٰ في الكفّارِ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[1] وقولُه تعالىٰ: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾[محمد:٢٨] وقولُه تعالىٰ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

[الشرح]

هٰذه كلها من الصفات الفعلية؛ لأنه أضاف المعاني مثل الغضب، الرضا، الكُره، السّخط، هٰذه معاني أضافها إلىٰ نفسه، والإضافة هٰذه تقتضي إضافة صفة إلىٰ موصوف.

المؤولة يتأولون مثل هٰذه النصوص فيقولون في مثل الرضا: هو إرادة الإنعام، والغضب يقولون: إرادة الانتقام.

---

(١) سورة: الفتح الآية (٦)، المجادلة الآية (١٤)، الممتحنة الآية (١٣).

طيب، إذا سألتهم قلت لما أوّلتم الغضب مثلا بإرادة الانتقام؟

قالوا: لأن حقيقة الغضب هو ثَوَران أو غَلَيَان دم القلب، هٰذا حقيقة الغضب؛ غليان دم القلب، وهٰذا يجب تنزيه الله جل وعلا عنه.

نقول: لاشك يجب تنزيه الله جل وعلا عن مثل هٰذا، ولكن هل هٰذا هو الغضب؟ وتلاحظ أنك في فهمك لنصوص الصفات، وفي فهمك لشبه المؤولة، لابد أن تغوص إلىٰ أصل كلامهم وشبهتهم حتىٰ تستطيع الرّد؛ لأنه أحيانا يمكن أن يزخرف القول، لكن إذا رجعت إلىٰ أصل الكلام وجدت أنه باطل.

فمثل هٰذا الأشاعرة والماتريدية والكلابية قبلهم ومن نحىٰ نحوهم يقولون: الغضب هو إرادة الانتقام، لماذا؟ قالوا: لأن حقيقة الغضب هو غليان دم القلب.

فنقول: الصواب أنّ الغضب صفة ينشأ عنها في ابن آدم غليان دم القلب؛ لأنّ ابن آدم أولا يغضب، ثم بعد غضبه ينتج عنه غليان دم القلب، ويظهر ذلك باحمرار الوجه والانتفاخ إلىٰ آخره.

نقول: هٰذا أمر ينشأ عن الغضب، وليس هو الغضب نفسَه. أليس كذلك؟

فإذن هم يؤولون لأنهم بنوا علىٰ مقدمات باطلة، وأصل هٰذا التأويل من نفي الصفات هٰذه؛ من الرضا والغضب ونحو ذلك، أصله من جراء القول بنفي الصّفات الاختيارية، وأنّ الله جل وعلا لا يتّصف بصفة في وقت دون وقت، فإما أن يتصف بها مطلقا أو إما أن لا يتّصف بها مطلقا.

فلهٰذا يؤولونه، لم يؤولونه إلىٰ الإرادة؟ ذلك أن الإرادة من الصفات العقلية السّبع التي يثبتونها، فيؤولون الصفات غير السبع بإحدىٰ الصفات السبع التي يثبتونها، فهم يثبتون –يعني الأشاعرة والماتريدية ونحوهم– سبع صفات، فهم يؤولون هٰذه الآيات بإحدىٰ الصفات السبع.

أما المعتزلة والجهمية فتارة يجعلون الاسم أو الصفة يراد به مخلوقا منفصلا؛ يعني يقولون: الرضا بمعنىٰ المرضي عنه الرحيم، وهو الغفور الرحيم؛ الغفور هو ما حصل لمن... يعني المغفور له، ليس هو صفة الله لكن حصل للعبد، فالمخلوق هو الذي يُقال الغفور الرحيم ونحو ذلك، وهو عمل الجهمية والمعتزلة، وتجدون هٰذا في بعض التفاسير.

أما الماتريدية والأشاعرة والكلابية فهم يفسّرونها بإحدىٰ الصفات السبع، تارة يفسرونها بالإرادة في بعض الصفات، وتارة يفسرونها مثلا بالقدرة ونحو ذلك؛ مثل التوفيق والخذلان يفسرونه بالقدرة؛ لأنهم يثبتون القدرة، فيفسرون توفيق الله جل وعلا لعبده وخذلانه جل وعلا لعبده بالقدرة.

المقصود من هٰذا أننا نثبت هٰذه الصفات سواء كانت صفات ذاتية أو صفات فعلية اختيارية أو غير اختيارية نثبتها جميعا لله جل وعلا دون تفريق كما جاء في نصوص الكتاب والسنة. وهٰذا أصل من الأصول.

ونقول: إن هٰذا الاتصاف لله جل وعلا بهٰذه الصفات علىٰ أساس قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

فهنا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ والكاف هنا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾:

♦ من أهل العلم من يقول هي صلة يعني زائدة، ومعنىٰ كونها زائدة يعني للتأكيد، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ في تقدير قولك: ليس مثله شيء، ليس مثله شيء. لأن العرب تزيد حرفا أو كلمة وتريد بالزيادة تكرير الجملة؛ يعني وتأكيد الجملة، فقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ علىٰ هٰذا القول؛ وهو أن الكاف هنا صلة فيكون المعنىٰ: ليس مثله شيء، ليس مثله شيء. فهو تأكيد للجملة بتكرارها، وهٰذا من مثل قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾[البلد]، ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ [القيامة] هل هو ترك للقسم أو إثبات للقسم؟ من أهل العلم وهو القول الظاهر أنه قسم ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾ يعني أقسم، لكن ﴿لَآ﴾ هنا صلة لتأكيد القسم، فيكون المعنىٰ بوجود ﴿لَآ﴾ معناه: أقسم بيوم القيامة، أقسم بيوم القيامة. وهٰذا من أسرار اللسان العربي الشريف.

♦ القول الآخر: أن الكاف هنا بمعنىٰ المثل، هي حرف لكنها اسم، بمعنىٰ (**مثل**) فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ يعني (ليس مثلَ مثلِه شيء) هٰذا يقتضي المبالغة في نفي المثيل، وورود الكاف بمعنىٰ مثل، معروف في اللغة من مثل قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ

كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ ﴾[البقرة:٧٤] ومن مثل قول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قلامة حبا لغيرك ما أتتك رسائلي(١)

يعني لو كان في قلبي مثل قدر القلامة لغيرك كذا وكذا.

فإذن هنا الكاف إما أن تكون بمعنىٰ هٰذا أو هٰذا، فقوله جل وعلا هنا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ هٰذا فيه أبلغ النفي لوجود المثيل لله جل وعلا، ثم لمّا نفىٰ أثبت، وهٰذا علىٰ القاعدة المعروفة: **أن النفي يكون مجملا، والإثبات يكون مفصلا**. فنفىٰ مجملا فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ ثم فَصَّل فقال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

لِمَ خص السمع والبصر هنا؟ وصف الله جل وعلا هنا نفسه بالسمع والبصر؛ **قال بعض أهل العلم**: لأن السمع والبصر من أكثر الصفات اشتراكا بين ذوات الأرواح.

فالسمع يوجد في الذباب، يوجد في النمل، كذلك البصر، يوجد في البعوض ويوجد في الإنسان ويوجد في الهرّ؛ يعني جميع المخلوقات -تَدَرَّجْ بها- فيها سمع وبصر.

فينبهك علىٰ أنه هل سمع البعوض وبصره هل هو مثل سمع ابن آدم وبصره؟ لا، يشترك ابن آدم مع البعوض أو مع الذباب في بعض معنىٰ السمع والبصر؛ لأن السمع ما تدرك به المسموعات، والبصر ما تُدرك به المرئيات، فالبعوض له سمع وبصر يناسب ذاته، ابن آدم له سمع وبصر يناسب ذاته ولا يقارن به سمع وبصر البعوض.

فنبّه الله جل وعلا بهاتين الصفتين السمع والبصر لأجل اشتراكها في كثير من ذوات الأرواح؛ من أنّه كما أنها لا تتماثل ذوات الأرواح في الاتصاف بهاتين الصفتين، فكذلك فإن الله جل وعلا له سمع وله بصر ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾، مع قطع المماثلة وقطع طمع إدراك الكيفية لصفات الله جل وعلا، فله جل وعلا سمع وبصر يناسب ذاته العظيمة الجليلة جل وعلا وتقدس وتعاظم.

نواصل إن شاء الله غدا، أسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

---

(١) قال جميل بثينة:

لَـــــو أَنَّ في قَلبـــــي كَقَـــــدرِ قُلامَـــــةٍ فَضـــــلاً وَصَـــــلتُكِ أَو أَتَتـــــكِ رَســـــائِلي

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

ومِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النّبيِّ ﷺ: «يَنزِلُ ربُّنا تباركَ وتعالىٰ كلّ ليلةٍ إلىٰ سماءِ الدّنيا»[١] وقولُه: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ[٢]»،[٣] وقولُه: «يَضحَكُ اللهُ إلىٰ رجُلَين يَقْتُلُ أحدُهما الآخرَ [ثم] يَدخُلانِ الجنّة»[٤].

فهٰذا وما أشْبَهَهُ مِمّا صَحَّ سَنَدُهُ، وعُدِّلَت رُوَاتُه، نُؤْمِنُ بِهِ، ولا نَرُدُّهُ، ولا نَجْحَدُهُ، ولا نَتَأَوَّلُهُ بِتَأْوِيلٍ يُخالِفُ ظاهِرَه، ولا نُشَبِّهُهُ بصفاتِ المخلوقين، ولا بِسِماتِ المُحْدِثِينَ، ونعلَمْ أنَّ اللهَ ﷻ لا شبيهَ لَهُ، ولا نظيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، وكلُّ ما تُخيِّلَ في الذِّهْنِ أوْ خَطَرَ بالبَالِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ بخلافِه.

ومِنْ ذَلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه:٥].

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلما ذكر المؤلف ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن الأصل الجامع لمذهب أهل السنة والجماعة في

---

(١) «صحيح البخاري» (ح١١٤٥)، «صحيح مسلم» (ح٧٥٨).

(٢) صبوة هي الميل إلىٰ الهوىٰ، وهي المرة منه.

(٣) «مسند أحمد» (تحقيق أحمد شاكر حمزة الزين): (ح١٧٣٠٤)، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح٢٨٤٣). وذكر أنه رواه الروياني في «مسنده» والإمام أحمد وأبو يعلىٰ وغيرهم.

(٤) «صحيح البخاري» (٢٨٢٦)، و«صحيح مسلم» (ح١٨٩٠).

الأسماء والصفات أنهم يُمرونها كما جاءت لإثبات ذلك لفظا ومعنىٰ والإيمان بما اشتملت عليه لا يتجاوزون القرآن والحديث، بدأ بتفصيل الكلام علىٰ بعض الصفات، فذكر بعض الأدلة من التنزيل؛ من القرآن علىٰ بعض الصفات، كما مرّ معنا، ثم ذكر ما هو من الأحاديث في الصّفات، فذكر حديث النزول وهو قول النبي ﷺ: «**ينزل ربُّنا كل آخر ليلة** –وفي لفظ آخر: «**ينزل ربنا في الثُّلث الأخير من كل ليلة**»وفي بعض الروايات «**في النصف الأخير من كل ليلة**»–، **فينادي عبادَه: هل من سائل فأعطيَه، هل من داعٍ فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له**»، وهٰذا نزول خاص يليق بجلال الله جل وعلا وعظمته، وليس هو كنزول المخلوقين، كما يُعلم من نزولهم، وإنما هو نزول خاص بالله جل وعلا كسائر صفاته؛ يُثبت المعنىٰ ويُنفىٰ العلم بالكيفية، لأنّ الله جل وعلا لا تتمثله العقول بالتفكير ولا تتخيله القلوب بالتصوير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ]، فالنّزول يثبت لله جل وعلا علىٰ معتقد أهل السنة والجماعة، وأما المبتدعة من الكلاّبية والأشاعرة والماتريدية، ومن قبلهم من المعتزلة ونحوهم؛ فيتأوّلون هٰذه الأحاديث إذا أثبتوها، بأن معنىٰ النزول نزول رحمته، والجواب عن هٰذا التأويل من أنه:

أولا: خلاف الأصل، والله جل وعلا أوجب علينا أن نؤمن بظاهر الآيات والأحاديث.

والثاني: أن رحمته جلّ وعلا نازلة علىٰ العباد في كل حين، فتخصيص الثلث الأخير من الليل بنزول الرحمة لا معنىٰ له؛ لأنّ رحمة الله جل وعلا نازلة في كل حين وأوان؛ بل العباد لا يخلون من رحمة الله جل وعلا، ولو أُخْلُوا من رحمة الله جل وعلا لفسدت معايشهم ولهلكت أنفسهم.

وهٰذا تأويل باطل من أن يُتأول النزول بنزول الرحمة؛ بل هو نزول الرب جل وعلا، وصفه بذلك نبيه عليه الصلاة والسلام، إذ لا يصف الله جل وعلا أحد من الخلق أعلم من رسول الله ﷺ، ولا أكثر تنزيها وتعظيما من رسول الله ﷺ.

ثم ذكر الصفة الثانية ألا وهي صفة العجب فذكر الحديث المشهور المعروف الذي رواه الإمام أحمد وغيره من أن النبي ﷺ قال: «**عجب ربُّنا من شاب ليست له صبوة**» يعني ليس له ميل وجنوح إلىٰ ما يهتم به الشباب من الشهوات ونحو ذلك، فقال: (**عجب ربنا**) وهٰذا الحديث من جنس

أحاديث الصفات فيه ذكر صفة العجب، وأن الله جل وعلا يعجب.

وهٰذه الصفة؛ صفة العجب ذُكرت في القرآن في قول الله تعالىٰ في سورة الصافات: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصافات] علىٰ القراءة السبعية الثانية إذْ في الآية قراءتان القراءة الأولىٰ: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الصافات]، والقراءة السبعية المتواترة الثانية ﴿ بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾، فإذن يكون صفة العجب دلّ عليها القرآن والسنة، ويوصف الله جل وعلا بالعجب كما وصف به نفسه، وليس وصف الله جل وعلا بالعجب من الفعل، أو مما يعمله العبد، ليس هٰذا ناتج عن عدم العلم؛ بل هو من كماله جل وعلا، إذْ العجب تارة يكون عن عدم علم وتارة يكون عن علم، والعجب يقتضي رفع منزلة المُتعجَّب منه، وهٰذا يثبت لله جل وعلا كما قال جل وعلا: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، أو كما جاء في الأحاديث التي فيها إثبات صفة العجب من مثل قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**عجب ربكم من قنوط عباده وقرب غِيَره**[١]، **ينظر إليكم أزلين**[٢] **قنطين يعلم أنّ فرجكم قريب**»[٣] وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) قال أبو الحسن السندي في «حاشيته علىٰ ابن ماجه»: والضمير لله، المعنىٰ أنه تَعَالىٰ يضحك من أن العبد يصير مأيوسا من الخير بأدنىٰ شر وقع عليه مع قرب تغييره تَعَالىٰ الحال من شر إلىٰ خير، ومن مرض إلىٰ عافية ومن بلاء وحنة إلىٰ سرور وفرحة. نقلا من «السلسلة الصحيحة».

(٢) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٥٣) تحت هٰذا الحديث، الأزل بسكون الزاي: الشدة، والأزل علىٰ وزن كتف، هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتىٰ كاد يقنط.

(٣) رواه بهٰذا اللفظ ابن كثير في «**البداية والنهاية**» (١٤/ ٢١)، وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «**العقيدة الواسطية**». وأيضا جاء في «**زاد المعاد**» في (قدوم وفد بني المنتفق علىٰ رسول الله ﷺ) (٣/ ٥٢) وفيه طول، قال: «وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلىٰ قريب»، وقال عقبه: هٰذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته علىٰ أنه قد خرج من مشكاة النبوة.

وجاء في: «**مسند أحمد**» (بتحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين): برقم (١٦١٣١)، «**سنن ابن ماجه**»: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (١٨١). عن أبي رزين قال قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره» قال: يضحك الرب عز وجل؟ قال: «نعم»، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا.

=

فهٰذه الأحاديث وأمثالها مما صح إسناده وعُدِّلت نقلتُه، نثبت ما جاء فيها علىٰ القاعدة المقررة من أنه **إثبات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه.**

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة عظيمة مهمة قال: **وما خطر ببالك فإن الله جل وعلا بخلافه.** إذا خطر في بال المرء أنّ الله جل وعلا في اتصافه بالصفة يكون علىٰ النَّحو الذي خطر بباله، أو تخيَّل صورة، فليجزم بأنّ الله جل وعلا بخلاف ما تخيَّل، وذلك لأنّ المرء لا يمكن أن يتخيل شيئا أو أن يتصوَّر شيئا إلا إذا كان:

[الأول]: قد رآه.[1]

الثاني: أن يكون قد رأىٰ مثله.

الثالث: أنه قد رأىٰ جنسه.

الرابع: أنه وُصف له وصف كيفية.

وهٰذه الأربع لا تنطبق علىٰ صفات الله جل وعلا، فإنّ الله جل وعلا لم يُر حتىٰ تتخيله القلوب بالتصوير،ولم يُر مثله، ولم يُر جنسه، وكذلك لم يوصف وصف كيفية، فلهٰذا كل ما خطر بعقلك أو تصوره قلبُك فلتجزم بأنه الله جل وعلا بخلاف ذلك.

فهٰذه قاعدة عظيمة، والشيطان وإبليس يأتي للمؤمن فيجعله يتصوّر، ويُصَوِّر له ربه جل وعلا علىٰ نحوٍ من الصور، وهٰذا لأجل أن يُشغل العبد عن تنزيه الله جل وعلا، وعن إثبات الصفات لله جل وعلا علىٰ ما يجب له ﷻ، وليدخله في نوع من الضلالات من التجسيم و التشبيه والتمثيل ونحو ذلك.

فذكر المؤلف القاعدة العظيمة في هٰذا؛ وهو أنّه ما خطر ببالك أو تصوره بقلبك فاعلم بأن الله جل وعلا بخلافه.

❊❊❊

=

وأورده **الشيخ الألباني** في «**السلسلة الصحيحة**» برقم (٢٨١٠) وقال: والخلاصة أن الحديث بمجموع الطريقين حسن عندي، وتعقب ابن القيم أنه لم يعرج علىٰ الكلام علىٰ أحد من رواته المجهولين، وبمثل ذاك الكلام الخَطابي لا تصحّح الأحاديث.

(١) انتهىٰ الشريط الأول.

[المتن]

وقولُه تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦]، وقولُ النبيِّ ﷺ: «رَبُّنَا الله الّذِي في السّماءِ تَقَدّسَ اسْمُكَ»(١) وقال للجاريَّة: «أيْنَ الله؟» قالتْ: في السَّماءِ قال: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رواه مالكُ بنُ أنَسٍ ومسلمٌ وغيرُهما مِنَ الأئمة.(٢)

وقالَ النبيُّ ﷺ لِحُصَيْنٍ: «كَمْ إلٰهًا تَعْبُدُ؟» قال: سبْعةً؛ سِتَّةً في الأرضِ وواحِدًا في السَّماءِ، قالَ: «مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قالَ: الّذي في السَّماء، قالَ: «فَاتْرُكْ السِّتَّةَ وَاعْبُدْ الذِي في السَّماءِ وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْن» فَأَسْلَمَ وَعَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدِي وَقِني شَرَّ نَفْسِي».(٣)

وَفيمَا نُقِلَ مِنْ عَلاماتِ النبيِّ ﷺ وَأصحابِهِ في الكُتُبِ المتقدِّمةِ أنَّهم يَسْجُدون بالأرْضِ، ويَزْعُمون أنَّ إلهَهمْ في السَّماءِ.

وَرَوَىٰ أبو داودَ في سُننه أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ مَا بَيْنَ سمَاءٍ إلىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ كذَا وَكذَا -وذَكَرَ الخَبَرَ إلىٰ قَوْلِهِ- وَفَوْقَ ذَلِكَ العَرْشُ وَالله سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ».(٤)

فَهٰذا وَمَا أشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ رَحِمَهم اللهُ علىٰ نَقْلِهِ وقَبُولِهِ ولم يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ ولا تَأْوِيلِهِ ولا تَشْبِيهِهِ ولا تَمْثِيلِه.

سُئِلَ الإمامُ مالك بنُ أنسٍ رَحِمَهُ اللهُ فَقِيلَ: يا أبَا عبدِ الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه] كيْف استوىٰ؟ فقال: الاسْتِواءُ غيْرُ مجهولٍ، والكيْفُ غيْرُ معْقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ والسُّؤالُ عنْه بدعةٌ، ثُمّ أَمَرَ بالرَّجُلِ فأُخْرِجَ.

[الشرح]

---

(١) «سنن أبي داود» (ح٣٨٩٢). وحسنه شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية»، **قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

(٢) «صحيح مسلم» (ح٥٣٧)، «الموطأ» (ح١٥١١).

(٣) «سنن الترمذي» (ح٣٤٨٣). وقال: حديث حسن غريب. **قال الشيخ الألباني**: ضعيف.

(٤) «سنن أبي داود» (ح٤٧٢٣)، «سنن الترمذي» (ح٣٢٩٨)، «سنن ابن ماجه» (ح١٩٣)، **قال الشيخ الألباني**: ضعيف.
وأثبته شيخ الإسلام في المناظرة التي عقدت له «مجموعة الفتاوىٰ» (٣/ ١٢٣ ط دار الجيل).

هٰذه الجمل فيها إثبات لصفة العلو لله جل وعلا، فذكر استواء الله جل وعلا علىٰ العرش، ثم ذكر صفة العلو، واستدلّ لها بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦]، وبحديث حُصين المعروف، وبوصف النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة.

وصفة العلو لله جل وعلا ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وبدِلالة الفطرة علىٰ ذلك؛ فإنّ علو الله جل وعلا مركوز في الفطر، وقد جاء من الأدلة في كتاب الله وفي سنة نبيه ﷺ ما يزيد علىٰ ألف دليل يدلّ علىٰ أنّ الله جل وعلا عالٍ علىٰ خلقه، والعلو ثلاثة أقسام:

- ♦ علو الذّات.
- ♦ وعلو القَهْر.
- ♦ وعلو القَدْر.

وأهل السّنّة والجماعة يثبتون علو الله جل وعلا بأقسامه الثلاثة؛ فهو جل وعلا عالٍ علىٰ خلقه بذاته، كما أنه جل وعلا عالٍ علىٰ خلقه بقدْره، كما أنه جل وعلا عالٍ علىٰ خلقه بقهره وبجبروته.

وأما المبتدعة فإنهم يؤولون العلو بعلو القهر والقدر، وينفون علو الذات.

وهٰذه المسألة من المسائل العظيمة التي يجري فيها الامتحان بين أهل السنة والجماعة وبين المبتدعة الضُّلاَّل، فمن أنكر العلو فهٰذا من أهل الضلال ومن أهل الزيغ؛ بل قد حكم طائفة من أهل العلم بكفره لأنه ينفي ما دلّ القرآن عليه ودلت نصوص السنة عليه بأكثر من دليل، فمسألة العلو هي من أظهر مسائل الصفات، فمن أنكر العلو فهو علىٰ شفير هلكة، ومبتدع بدعة مغلّظة، وهٰذا إن لم يصل به الأمر إلىٰ الكفر بالله جل وعلا.

قول النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، فيما رواه مسلم في الصحيح، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦] ﴿فِي﴾ هنا الصحيح أنها بمعنىٰ (علىٰ) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني من علىٰ السماء، فهٰذا فيه إثبات العلو ومجيء (في) بمعنىٰ (علىٰ) ثابت معروف في لغة العرب، وجاء استعمال ذلك في القرآن؛ أرأيت قول الله جل وعلا: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١] ومعلوم أن التصليب يكون علىٰ الجذوع لا أن تُجعل الجذوع ظرفا

للمصلَّين؛ يعني أنهم يصلبون عليها، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني مَنْ علىٰ السماء؛ وذلك أن السماء تُفَسَّر تارة بالعلو، فإنّ السماء اسم لما علا، فالعلو يُطلق عليه السّماء، فكل ما علا يُطلق عليه السماء، والعلو المطلق يطلق عليه السماء، وسميت السمٰوات بهٰذا الاسم لعلوها، وكذلك سُمِّي المطر سماءً لأجل علوه، قال الشاعر(١):

إذا نَزَلَ السماء بِأَرضِ قَوم ... رَعَيناهُ وَإِن كانوا غِضابا

ويعني بالسماء المطر وهٰذا لأنه يأتي من جهة العلو، فالسماء بمعنىٰ العلو.

قال بعض أهل العلم: المراد هنا بالسماء ليس هو العلو ولكن جنس السمٰوات السبع. فيكون المعنىٰ من علىٰ السمٰوات، وذلك أن الله جل وعلا مُتصف بأنه مستوٍ علىٰ عرشه العظيم.

أخصّ من العلو الاستواء علىٰ العرش، والعرش في اللغة هو سرير المُلْكِ، وهو مشتق من الارتفاع، فسُمِّي العرش عرشا لارتفاعه ولعلوِّه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ [الأنعام:١٤١]، ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨﴾[النحل]، ونحو ذلك، هٰذا كلُّه فيه معنىٰ الارتفاع والعلو، فالله جل وعلا استوىٰ علىٰ عرشه وهو سرير مُلْكِهِ جل وعلا استواءً يليق بجلاله وعظمته، والاستواء معناه في اللغة: العلو؛ استوىٰ بمعنىٰ علا، قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾[المؤمنون] معنىٰ قوله: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعني عَلَوْتُمْ علىٰ الفلك.

قال ابن الأعرابي -أحد أئمة اللغة المعروفون-: كُنّا عند أحد الأعراب فأطلَّ علينا مِن علىٰ بيته وقال: استووا إليَّ، يعني ارتفعوا إليَّ، واصعدوا إليَّ. فهٰذا هو المعروف في لغة العرب؛ لأن استوىٰ بمعنىٰ علا علىٰ الشيء.

لكن قد يُضمَّن هٰذا العلو معنىٰ آخر بحسب الحرف الذي يُعدَّىٰ إليه الفعل، كما قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾[فصلت:١١] ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ترىٰ أنّه من السلف ومن أهل

---

(١) وهو الملقب بـ: معوّد الحكماء، معاوية بن مالك الشاعر الجاهلي.

العلم من فسرها بمعنىٰ قصد وعمد. وهٰذا مما يسمىٰ التفسير باللازم؛ فإنه مع العلو هناك قصد وعمد، وذلك مستفاد من قوله: ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فلما عدّىٰ الفعل بـ﴿إِلَى﴾ قال: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ علمنا أنه مُضمَّن معنىٰ القصد والعمد، والتضمين فيه إثبات لأصل المعنىٰ مع زيادة ما دل عليه الحرف الذي عُدِّيَ الفعل به.

والاستواء علىٰ العرش مما تميز به أهل السنة، فالمبتدعة يُنكرون استواء الله جل وعلا علىٰ عرشه:

١. فطائفة منهم يجعلون الاستواء علىٰ العرش عبارة عن الاستيلاء عليه، وهٰذا فيه تنقّص لله جل وعلا؛ لأنّ الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤] فبيّن أن الاستواء علىٰ العرش كان بعد أن لم يكن، فإذا فُسِّرَ الاستواء بالاستيلاء دلّ هٰذا علىٰ أن الاستيلاء من الله جل وعلا علىٰ العرش لم يكن ثم كان، وهٰذا فيه تنقّص لله جل وعلا إذ فيه سلْب قهره وجبروته علىٰ خلقه أجمعين، فهٰذا يُبَيِّن ويُقرّر أن الاستواء ليس إلا بمعنىٰ العلو.

٢. بعضهم فسّر "الاستواء علىٰ العرش" بأنّه يعني "العرش" بأنه العلم، واستوىٰ علىٰ العرش يعني حاز العلم وكَمُل له العلم، وهٰذا أيضا باطل.

٣. ومنهم من فسَّر "العرش" بالكرسي، والكرسي يقولون هو العرش.

وهٰذه أقوال كلها ليس هٰذا مجال تفصيل الرد علىٰ أصحابها، لكنها جميعا مخالفة لما تقتضيه الأدلة، ولما هو ظاهر الأدلة، ولما دلّ عليه القرآن والسنة.

والاستواء علىٰ العرش يختلف عن العلو بأنه أخصّ منه، فالله جل وعلا من صفاته الذاتية العلو، وأما الاستواء فإنه صفة فعلية باعتبار أنه جلّ وعلا لم يكن مستويا علىٰ العرش ثم استوىٰ، وصفة ذاتية باعتبار أنّ الله جل وعلا لم يزل مستويا علىٰ عرشه منذ استوىٰ عليه؛ يعني أنه لا يستوي في حال دون حال؛ بل هو جل وعلا مستوٍ علىٰ عرشه لا ينفكُّ عن هٰذا الوصف.

[المتن]

[فصل]

ومِنْ صِفاتِ الله تعالىٰ أنَّه مُتكَلِّمٌ بكلامٍ قَديمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسىٰ عليْه السلامُ مِنْهُ مِنْ غيْرِ وَاسِطَةٍ، وسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عليْه السلامُ، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ ملائكتِهِ، وَرُسُلِهِ.

وأنَّه سُبْحَانَه يُكَلِّمُ المؤمنين في الآخِرَةِ، ويُكلِّمُونَهُ، ويَأْذَنُ لهم فيَزُورُونَهُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النساء]، وقال سبْحانه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[الأعراف:١٤٤]، وقال سبْحانه: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[البقرة:٢٥٣]، وقال سبْحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾[الشورىٰ:٥١]، وقال سبْحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[طه]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[طه:١٤] وغيْرُ جائزٍ أنْ يقولَ هٰذا أَحَدٌ غيْرُ الله.

وقالَ عبْدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ: إذَا تَكَلَّمَ اللهُ بالوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّماءِ، رُوي ذلك عَنِ النبيﷺ.[1]

وَرَوىٰ عبدُ الله بْنُ أُنَيْسٍ عَنِ النَّبِي ﷺ أنَّه قالَ: «يَحْشُرُ الله الخلائِقَ يوْمَ القيامَةِ عُرَاةً حُفاةً غُرْلاً بُهْمًا فيُنَادِيهم بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الملِكُ، أنَا الدَّيَّان» رواهُ الأئمةُ[2] واسْتَشْهَدَ به البخاريُّ.[3]

وفي بعْضِ الآثارِ أنَّ موسىٰ عليْه السلامُ ليْلَةَ رأىٰ النَّارَ فَهَالَتْهُ، فَفَزِعَ منْها، فنَاداهُ رَبُّهُ: يا موسىٰ! فأجابَ سريعًا اسْتِئْنَاسًا بالصَّوْتِ، فَقَالَ: لبَّيْكَ لبَّيْكَ أَسْمَعُ صوْتَكَ ولا أَرَىٰ مكانَكَ، فأين أنتَ؟ فقال: أنا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وعَنْ يَمِينِك، وعَنْ شِمَالِكَ، فعَلِمَ أنَّ هٰذه الصِّفَةَ لا تَنْبَغِي إلاَّ للهِ تَعالىٰ. قال:

---

(١) استشهد به البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبإ:٢٣].

(٢) «**مسند أحمد**» (تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين) (ح١٥٩٨٤). والبخاري في «الأدب المفرد».

(٣)استشهد به البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبإ:٢٣].

كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلهي أفَكلامَك أسمعُ أمْ كلامَ رسولِك؟ قال: بلْ كلامي يا موسىٰ.

[الشرح]

صفة الكلام ثابتة لله جل وعلا بالعقل وبالسمع، ولهٰذا الذين يثبتون الصفات السبع أو الثمان يجعلون صفة الكلام من تلك الصفات التي يثبتونها؛ لأنه دلّ عليها العقل، كما أنه دلّ عليها النقل.

أما دليل العقل علىٰ هٰذه الصفة فهو أنه جل وعلا ذكر الآلهة التي أُدِّعيت وجعل عدم كلامها دليلا علىٰ عجزها وأنها لا تصلح آلهة، قال جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾[طه]، وكذلك في قوله جل وعلا: ﴿فَسْئَلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[الأنبياء] وذلك أن الفارق بين الحيّ ومن ليست فيه حياة هو الكلام، فإذا كان متكلما كان هٰذا أكمل؛ بل كان هٰذا من صفات الكمال، فالكلام من صفات الكمال، وعدم الكلام من صفات النقص، ولهٰذا كان هٰذا يصلح دليلا عقليا.

كما أن السمع أثبت صفة الكلام في نصوص الكتاب والسنة، كما سمعتم من إيراد المؤلف وظاهرة في الدلالة علىٰ صفة الكلام.

قال جل وعلا: ﴿﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]، وقد سأل بعض أهل البدع أحد أئمة اللغة عن قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء]، سأله أن يقرأه بنصب لفظ الجلالة؛ يعني وكلّم اللهَ موسىٰ تكليما؛ يعني أن يجعل المتكلم هو موسىٰ وأن يجعل الله جل وعلا هو المكلِّم، رغبة منه أن ينفي الصفة؛ صفة الكلام لله جل وعلا، وذلك الرجل هو أحد رؤوس المعتزلة أظنه عمرو بن عبيد، يقول: فقال هٰذا الإمام هَبْنِي قرأتُها كذلك فما تصنع بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾. وهٰذا يدلُّك علىٰ أن أهل البدع لهم رغبة في نفي الكتاب والسنة.

وصفة الكلام ثابتة لله جل وعلا.

والمعتزلة يجعلون كلام الله مخلوقا منفصلا فيقولون: موسىٰ سمع كلام الشجرة.

والجهمية يجعلونه مخلوقا منفصلا مطلقا.

وأما الأشاعرة والماتريدية فهم يثبتون صفة الكلام؛ لأنها من الصفات السبع عند الأشاعرة ومن الصفات الثمان عند الماتريدية، ولكن يقولون: هو متكلم بكلام نفسي قديم.

وأهل السنة والجماعة يتميّزون عن أولئك جميعا بقولهم: إنه جل وعلا يتكلم بكلام يُسمع بحرف وصوت إذ الذي يُسمع هو ما كان بحروف وما كان بصوت، وكذلك أنّ كلام الله جل وعلا صفة له جل وعلا، قديمة النوع، حادثة الآحاد؛ فهو جل وعلا يتكلم إذا شاء، كيف شاء، وليس كلامه صفة نفسية؛ بل هو يتكلم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قَرُب يوم القيامة، وصوته ينفذ في ملائكته في السماء، وصوته سمعه موسىٰ عليه السلام.

ولهٰذا اعترف بعض حُذّاق الأشاعرة والمتكلمين -وهو الآمدي في بعض كتبه- بأن سماع موسىٰ لكلام الله جل وعلا من الشجرة بأنه دليل لا يقبل التأويل، قال: لأننا إذا قلنا إن كلام الله جل وعلا قديم فهل سمع موسىٰ الكلام القديم؟ وإذا كان كلام الله جل وعلا قديما فقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١] يكون الله جل وعلا يخبر عن نفسه بأنه سمع كلام المجادلة قبل أن توجد المجادلة، وقبل أن يوجد ذلك الكلام؟ يقول: إنّه لا مفرَّ إما من إثبات صفة الكلام المسموع؛ حادث الآحاد، وإما أن يُعتقد في الله جل وعلا الاعتقادات الباطلة. يعني من الإخبار بخلاف الواقع كما عليه مذاهب الفلاسفة.

المقصود أنه اعترف بأنه لا مَحِيد من إثبات صفة الكلام فأهل السنة والجماعة يتميّزون بأنهم يثبتون صفة الكلام، وأن كلامه جل وعلا بصوت يُسمع، وأنه بحرف إذْ إنما يفهم العباد الحروف، وأنه ليس معنىٰ نفسيا قائما به جل وعلا يُلقىٰ في رُوع جبريل فيأخذه جبريل ويعبِّر عنه.

ولهٰذا يقول أولئك المبتدعة: إن كلام الله جل وعلا معنىٰ واحد قائم بالنفس؛ إن عُبِّر عنه بالعربية كان قرآنا، أو عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا، أو عبر عنه بالعبرانية كان توراة، فيجعلون كلام الله جل وعلا شيئا واحدا، ويجعلونه هو عين الأمر، وهو عين النهي، وهو عين الخبر، وهو عين بقية أنواع الكلام. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

وهٰذا -والعياذ بالله- فيه تنقّص لله جل وعلا، والاعتقاد الحق ظاهر لما دلّ عليه الكتاب والسنة من مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾[النساء:١٦٤] ثم أكّد بالمصدر الذي ينفي احتمال معنىٰ آخر غير التكليم فقال: ﴿تَكۡلِيمًا﴾؛ يعني إذا كان ﴿كلَّمَ﴾ لها معنىٰ آخر غير الكلام الذي يسمع فإنه رفع ذلك التوهم بقوله ﴿تَكۡلِيمًا﴾، ولهٰذا خُصَّ موسىٰ عليه والسلام بهٰذه الخاصية؛ وهو أنه مُكَلَّم، وأنه كليم الرحمٰن يعني من كلَّمه الله جل وعلا بلا واسطة.

[المتن]

[فصل]

ومِنْ كلامِ الله سبْحانه القرآنُ العظيمُ، وهو كتابُ الله المبينُ، وحَبْلُه المتينُ، وصراطُهُ المستقيمُ، وتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِ سَيِّدِ المرسَلِينَ بلسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ،(١) مُنَزَّلٌ غيْرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وإِلَيْهِ يَعُودُ.

وهُوَ سُوَرٌ مُحْكَمَاتٌ، وآياتٌ بَيِّنَاتٌ، وحُرُوفٌ وكَلِماتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عشْرُ حسَناتٍ. لَهُ أَوَّلٌ وآخِرٌ، وأَجْزاءٌ وأَبْعاضٌ، مَتْلُوٌّ بالألسِنَةِ محْفوظٌ في الصُّدورِ، مَسْمُوع بالآذانِ، مَكْتوبٌ في المصاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ ومُتَشابِهٌ، ونَاسِخٌ ومنْسُوخٌ، وخاصٌّ وعامٌّ، وأَمْرٌ ونَهْيٌ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾[فصلت]، وقَوْله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[الإسراء].

وهٰذا هُوَ الكتابُ العربيُّ الّذي قال فِيهِ الذين كَفَرُوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾[سبأ:٣١]، وقال بعضُهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾[المدثر]، فقال الله سُبْحانه: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦﴾[المدثر]، وقَالَ بَعْضُهم هو شِعْرٌ. فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[الشعراء].

﴿٦٩﴾ [يس]، فَلَمَّا نَفَىٰ اللهُ عنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ وأثبتَهُ قُرْآنا لم يُبقِ شُبْهةً لِذِي لُبٍّ في أنَّ القرآنَ هو هٰذا الكتابُ العرَبيُّ الَّذي هُوَ حُرُوفٌ، وكلِماتٌ، وآياتٌ؛ لأنَّ ما ليْس كذلِك لا يقُولُ أحَدٌ إنَّه شِعْرٌ.

وقـالَ عـزّ وجـلّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[البقرة]، ولا يجوزُ أنْ يَتحَدَّاهُمْ بِالإتْيانِ بِمِثْلِ ما لا يُدْرَىٰ ما هُوَ ولا يُعْقَلْ.

وقـالَ تعـالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾[يونس:١٥]، فأَثْبَتَ أَنَّ القُرْآنَ هُوَ الآياتُ الَّتي تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ.

وقـال تعـالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[العنكبوت:٤٩]، وقـال تعـالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[الواقعة]، بَعْدَ أنْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وقـال تعـالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾[مريم]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾[الشورىٰ]، وافْتَتَحَ تِسْعًا وعِشْرينَ سُورةً بالحروفِ المقطَّعَةِ.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحَنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»(١)حديثٌ صحيحٌ.

وقال عليْه الصّلاةُ والسّلامُ: «إقْرَأُوا القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ».(٢)

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنْهُما: إعْرابُ القُرآنِ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بعْضِ حُرُوفِهِ.

وقالَ عليٌّ ﷺ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ.

---

(١) أورده الألباني في «السلسة الضعيفة».

(٢) «سنن أبي داود» (ح٨٣١). قال الألباني: حسن صحيح. وأورده في «السلسلة الصحيحة» (ح٢٥٩).

واتَّفَقَ المسلمون علىٰ عَدِّ سُوَرِ القرآنِ وآياتِهِ وكلِماتِهِ وحُروفِهِ.

ولا خِلافَ بيْن المسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرآنِ سُورَةً أو آيَةً أو كلِمَةً أو حرْفًا مُتَّفَقًا عليْه أنَّه كافِرٌ، وفي هٰذا حُجَّةٌ قاطِعَةٌ علىٰ أنَّهُ حُروفٌ.

[الشرح]

الكلام علىٰ أنّ القرآن كلام الله أخصّ من الكلام علىٰ صفة الكلام، فإنّ كلام الله جل وعلا وأنّه قديم عند بعض الطوائف، هٰذا أعم من أن يُقال: إن القرآن النّازل هٰذا هو كلام الله جل وعلا.

ولهٰذا فإننا نقول: إن أهل السنة والجماعة اعتنوا بإثبات صفة الكلام لله جل وعلا في كلامهم علىٰ أنَّ القرآن كلام الله جل وعلا، إذْ إذا ثبت هٰذا الأخصّ الذي نُوزع فيه، فإنَّ إثبات صفة الكلام وأن كلامه جل وعلا بحروف وأصوات وأنه كلمات وحروف وجمل، فإنَّ هٰذا يَثْبُتُ بظهور، فإذا أُثبت الأخص أثبت الأعم في هٰذا الباب من باب الأوضح والأظهر.

فكلام الله جل وعلا الذي ألقاه إلىٰ جبريل فسمعه جبريل منه، وأمره بتبليغه إلىٰ النبي ﷺ، وسَمَّىٰ ذلك الكلام قرآنا، فنزل به جبريل علىٰ النبي ﷺ، هٰذا هو القرآن، فالقرآن كلام الله؛ والقرآن بعض كلام الله جل وعلا؛ فكلام الله جل وعلا منه ما هو قرآن ومنه ما ليس بقرآن، فالله جل وعلا من كلامه الكلمات الكونية التي قال الله جل وعلا فيها: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف] ومعنىٰ الكلمات هنا الكلمات الكونية.

والقرآن كلام الله جل وعلا الذي ألقاه إلىٰ جبريل فبلَّغه جبريل إلىٰ النبي ﷺ كما سمع.

فإذن القرآن كلماته وآياته وحروفه وسوره هو مسموع لجبريل من تَكَلُّمِ الله جل وعلا به بحرف وصوت، فهو حروف كما قال جل وعلا: ﴿الٓمٓ ۝١﴾[1]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾[الشورىٰ] إلىٰ آخر الآيات التي فيها الأحرف المقطعة، وهٰذا يدل علىٰ أن جبريل سمعه علىٰ هٰذا النحو؛ سمعه حروفا، وإذا كان سمعه حروفا فثبت أن الله جل وعلا تكلّم بحروف، إذْ جبريل عليه السلام يُقال: إما أن يكون سمع كلاما عامّا ففصّله بحروف، وهٰذا فيه نفي لصفة الكلام علىٰ النحو الذي أسلفنا إثباته، وإما أن يُقال: إن جبريل عليه السلام سمعه هكذا علىٰ هٰذا النحو بالحروف، فيثبت ما يراد إثباته من أن الله جل وعلا يتكلم بكلام هو جمل وكلمات وحروف ويُسمع منه بصوت.

فإذن القرآن العظيم له مراتب:

☚ المرتبة الأولىٰ: **مرتبة الكتابة**، وهٰذا ظاهر في قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾[الواقعة]، فالله جل وعلا قبل أن يتكلم بهٰذا القرآن في الأزل -يعني حين خلق اللوح المحفوظ وأودعه ما سيكون- جعل فيه القرآن مكتوبا، وهٰذه مرتبة الكتابة قبل مرتبة التكلم به، فهو جل وعلا جعله مكتوبا في اللوح المحفوظ، وذلك لسعة علمه جل وعلا، فهو يعلم ما سيوحيه إلىٰ عبده محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فحفظه مكتوبا في اللوح المحفوظ.

☚ ثم بعد أن بعث نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ جعل القرآن جميعا في مرحلة الكتابة أو في رتبة الكتابة جعله جل وعلا في بيت العزة في سماء الدنيا[2] كما روي عن ابن عباس ﷺ أن الله أنزل القرآن وجعله في بيت العزة في السماء الدنيا، قال ابن عباس: ثم أُنزل منجما علىٰ ثلاث وعشرين سنة.[3]

☚ المرتبة الثالثة: **مرتبة الكلام والتكلم به**، وهٰذه هي التي يُخصّ بها وصف القرآن؛ لأن الله جل وعلا تكلّم بهٰذا القرآن وسمعه منه جبريل فبلّغه للنبي ﷺ، فتكلُّم الله جل وعلا بهٰذا القرآن إنما كان

---

(١) سورة: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة الآية (١).

(٢) وهي المرتبة الثانية.

(٣) ذكره القرطبي في تفسير ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٤]، (٢/ ٦٧٨).

بعد بعث النبي ﷺ، قال جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١] فتكلم الله جل وعلا بقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إنما كان بعد أن كانت المجادلة وبعد أن حصل من المرأة وزوجها ما حصل فقوله جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ هٰذا حادث، وهٰذا حادث بمعنىٰ جديد ليس بقديم، وهٰذا كما وصف الله جل وعلا كتابه بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢] ﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي محدثٌ تنزيله، أي محدث التكلُّم به، فليس تكلم الله جل وعلا بالقرآن قديما كما يزعمه أهل البدع، لا؛ بل إنما تكلّم الله جل وعلا به بمشيئته جل وعلا وإرادته واختياره، حسَب ما يُوافق حكمته جل وعلا فيسمعه جبريل فيبلغه إلىٰ النبي ﷺ، فهٰذا فيه نفي أقوال:

الأول: أنه معنىٰ نفسي.

الثاني: أنه مخلوق منفصل كما تزعمه المعتزلة، وحصل في ذلك الافتتان العظيم للإمام أحمد ولأهل السنة في فتنة خلق القرآن.

والثالث: من يزعم أن جبريل أخذ القرآن في مرتبة الكتابة من اللوح المحفوظ، وأنزله علىٰ النبي ﷺ، كما زعمه السيوطي -وجَمْعٌ أيضا ممن قبله- في كتابه الإتقان[1] حيث زعم أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن في مرتبة الكتابة أخذه من اللوح المحفوظ فأنزله علىٰ النبي ﷺ، يريدون بذلك نفي أن يكون الله جل وعلا تكلم بالقرآن، أو أن جبريل سمع منه هٰذه الآيات وهٰذه الأحرف.

إذن فالأدلة التي أقامها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ظاهرة في أن القرآن آيات وحروف وكلمات وسور، والله جل وعلا تكلّم به علىٰ هٰذا النحو والنبي ﷺ قال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾[يونس:١٥] ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ﴾ وهٰذا يدلّك علىٰ أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إنما هو مبلِّغ، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[2] في آيتين في سورة التكوير وفي سورة الحاقة، وهٰذا ليس معناه أنه كلام الرسول، فإنه في سورة الحاقة يُعنىٰ

---

(١) انظر (النوع السادس عشر: كيفية إنزاله) من الإتقان (١/ ١٤٢).

(٢) سورة: الحاقة الآية (٤٠)، التكوير الآية (١٩).

به من؟ وفي سورة التكوير يعنىٰ به من؟ قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾﴾[التكوير]، وكذلك في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[الحاقة] ففي سورة الحاقة الرسول الذي نُسب إليه القول يعني القرآن نبينا محمد ﷺ، وفي سورة التكوير الرسول الكريم الذي نُسب إليه هٰذا القرآن هو جبريل عليه والسلام؛ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني جبريل عليه السلام، فهو قوله لكن الكلام كلام الباري جل وعلا، والقائل له مُبلغا عمّن تكلم به، مبلغا عمن تكلم به إلىٰ النبي ﷺ هو جبريل.

فإذن نسبة القرآن إلىٰ جبريل وأنه قوله هٰذه نسبة تبليغ، فإنّك إذا سمعت منّي كلاما أنقله عن أحد أهل العلم، فإنه يكون القول قولي، ولكن الكلام كلام من أنقل كلامه، ففرق بين القول وبين الكلام.

وهٰذا لم يتفطن له كثير ممن زعم أن في هاتين الآيتين نسبة القرآن إلىٰ النبي ﷺ أو إلىٰ جبريل، يعني أن الله جل وعلا لم يتكلّم به أنه ليس هو قول الله جل وعلا.

كذلك النبي ﷺ هو الذي بلّغ القرآن، والقرآن لمّا تكلّم به النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ صار قولا له؛ لكنه هو يبلغه عن الله جل وعلا، فهو يبلغ كلاما وهٰذا الكلام هو كلام الله جل وعلا، وهٰذا به يظهر بعض ما يتعلّق به الكلام عن مسألة كلام الله جل وعلا، وهي من أوائل المسائل التي أختلف فيها في صفات الله جل وعلا.

ولذلك سمّىٰ بعض الناس ما يتعلق بالكلام عن العقيدة سماه علم الكلام؛ لأنه من أوائل المسائل الحادثة التي تكلّم الناس فيها واختلفوا فيها.

فتلخص من ذلك أن معتقد أهل السنة والجماعة أنّ الله جل وعلا يتكلم، وأن كلامه قديم النوع حادث الآحاد، وأنه جل وعلا يتكلم بصوت يُسمع وأن كلامه حروف سمعها منه موسىٰ عليه السلام ويسمعها منه جبريل عليه السلام والملائكة ويسمع منه الناس يوم القيامة، وأن كلامه جل وعلا ليس ككلام غيره؛ بل ينفذ في الخلائق يوم القيامة يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، وأنّ كلامه لا يأتي من جهة، وإنما هو يأتي من أمام ومن خلف وعن يمين وعن شمال بدون أن يكون من جهة واحدة، وهٰذا من عظيم اتصاف الله جل وعلا بهٰذا الوصف.

وأن القرآن هو كلام الله منزّل غير مخلوق، إذا حُفِظَ في الصدور فهو كلام الله، وإذا كُتِب في الأوراق فهو كلام الله، وإذا تُلي علىٰ الألسن فهو كلام الله جل وعلا، فإذا تُلي نقول: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري.

فهٰذه مراتب مختلفة وكلها لا تَخرج عن كون هٰذا المتكلم به أو المكتوب أو المحفوظ أنه جميعا كلام الله جل وعلا وتعالىٰ وتقدس وتعاظم.

[المتن]

والمؤمنون يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الآخرةِ بأبْصارِهِم، ويَزُورُونَهُ، ويُكَلِّمُهُم ويُكَلِّمُونَهُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة].

وقالَ تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطففون:١٥]، فلمَّا حَجَبَ أولئك في حالِ السُّخْطِ دَلَّ علىٰ أنَّ المؤمنين يَرَوْنَهُ في حالِ الرِّضَا وإلاّ لم يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

وقال النبي ﷺ: «إِنّكُمْ سترَوْنَ رَبّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» حديث صحيح متفق عليه.(١)

وهٰذا تشبيهٌ للرؤيةِ بالرؤيةِ لا للمرئيِّ بالمرئيِّ، فإنّ الله تعالىٰ لا شبيهَ له ولا نظيرَ.

[الشرح]

أيضا من عقائد أهل السنة والجماعة التي تميّزوا بها عن طوائف المبتدعة أنهم يعتقدون أن الله جل وعلا يُرىٰ يوم القيامة، وأنه لا يمكن لأحد أن يراه في الدنيا كما قال جل وعلا لموسىٰ حين سأله الرؤية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]، فالرؤية في الدنيا ممتنعة، وأما في الآخرة فهي ممكنة؛ بل ستقع كما أخبر الله جل وعلا بقوله: ﴿وُجُوهٌ

(١) «صحيح البخاري»: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق]، «صحيح مسلم» (ح٦٣٣).

﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة]، ويرىٰ المؤمنون ربهم جل وعلا في عرصات القيامة وكذلك في الجنة، فيتمتّعون بذلك النظر إلىٰ وجه الله الكريم، فلم يُعطَوا نعيما أعظم من رؤية الرب جل وعلا فهو أعظم النعيم وأجزل النعيم، ولهٰذا سماه الله جل وعلا زيادة في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الزيادة هي النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ**» رواه مسلم[1] وغيره.

خالف في ذلك المبتدعة فقال طائفة منهم: إنّ الرؤية غير ممكنة أصلا، والنّظر غير واقع أصلا، لا في الدنيا ولا في الآخرة.[2] هٰذا كلام الجهمية والمعتزلة ومن شابههم، ويؤوِّلون قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة:٢٣:٢٢] بأن ﴿نَاظِرَةٌ﴾ هنا بمعنىٰ منتظرة، فيقولون: هي كقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾[3]يعني ينتظرون فالنظر في هٰذه الآية بمعنىٰ الانتظار ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ يعني منتظرة لرحمة الله، ومنتظرة لأمر الله جل وعلا.

والجواب عن احتجاج المعتزلة بهٰذا والخوارج، ويحتج بهٰذا أيضا طوائف الخوارج الموجودة اليوم من الإباضية وغيرهم وكذلك أهل الاعتزال، والجواب عن هٰذا الاحتجاج أنه لغة غير مستقيم، فضلا عن أنه ثبت النظر ورؤية المؤمنين لربهم جل وعلا في غير ما دليل، لكنه من حيث اللغة غلط، وذلك لأن الله جل وعلا قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ولفظ النظر صحيح أنه يأتي بمعنىٰ الانتظار ولكنه إذا أتىٰ بمعنىٰ الانتظار فإنه لا يُعَدَّىٰ بـ﴿إِلَىٰ﴾ لأنه يكون لازما، كما قال جل وعلا ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ فلما قال ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا﴾ ولم يعدها بحرف (إلىٰ) علمنا أن النظر هنا بمعنىٰ الانتظار ﴿فَهَلْ

---

(١) جاء في (مسلم (ح١٨١)) من حديث صهيب: أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم عز وجل.**»

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثاني.

(٣) سورة: فاطر الآية (٤٣)، محمد الآية (١٨).

يَنظُرُونَ إِلَّا ﴾ ﴿يَنظُرُونَ ﴾ بمعنىٰ ينتظرون من الانتظار.

أما إذا عُدي النظر بـ(إلىٰ) فهو نظر العين لا غير ولا تحتمل اللغة غير هٰذا، كما قال جل وعلا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

الدليل الثاني أنه جل وعلا قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فمن هي الناظرة إلىٰ ربها؟ هي الوجوه، فهٰذا دليل علىٰ أنّ النظر هو نظر العين؛ لأنّه جل وعلا جعل الناظر إلىٰ الله جل وعلا هي الوجوه؛ يعني لأنها محلّ الإبصار وهٰذا ينفي معنىٰ الانتظار.

وخالف أيضا في مسألة رؤية الله جل وعلا الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم، فأثبتوا رؤية المؤمنين لربهم جلّ وعلا يوم القيامة، وردّوا علىٰ المعتزلة في أنهم ينفون الرؤية، فالأشاعرة والماتريدية يُثبتون الرؤية من أن الله جل وعلا يُرىٰ يوم القيامة، لكنّهم يقولون: نظرٌ لا إلىٰ جهة، ولهٰذا قد تجد من الأشاعرة من يُثبت الرؤية بل هم يُثبتونها، لكن تنتبه إلىٰ أنهم يختلفون في إثباتها عن أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يجعلون الرؤية بالعينين إلىٰ جهة العلو حيث الله جل وعلا، أما أولئك فيجعلونها رؤية بقُوًىٰ يُحدثها الله جل وعلا في الأجسام يوم القيامة لا إلىٰ جهة، وهٰذا غير مُتصوّر.

ولهٰذا أهل الاعتزال ردوا علىٰ الأشاعرة وقالوا: أنتم خالفتم المعقول. في كلام ومناقشات ليست في هٰذه الدروس المختصرة بمحلها، وكان المعتزلة في تأصيل المسألة أحذق من الأشاعرة بتأصيل المسألة عقليا، لكن الأشاعرة ضعُفوا فأثبتوا ما دل عليه الدليل، لكنهم خالفوا المعقول وخالفوا كلَّ ما اشتمل عليه الدليل، وأما أهل الاعتزال فنظروا بالنظر العقلي فنفوا.

وكان الصواب أن يُثبت الجميع، فتثبت الرؤية، والرؤية إلىٰ جهة بحاسة الإبصار.

يقول أولئك: إن الله جل وعلا يقول لموسىٰ إنك ﴿لَن تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣] قال: قال جل وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾[الأعراف:١٤٣] يقول أولئك إن ﴿لَن ﴾ هنا تنفي نفيا مؤبدا، وهٰذا النفي المؤبد الذي دلّت عليه ﴿لَن ﴾ يشمل الحياة الدنيا

والآخرة فلا يمكن الرؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة بدليل قول الله تَعَالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يُخصص الحياة الدنيا من الآخرة.

والجواب أن هٰذا غلط في باب النحو، وغلط علىٰ العربية، ولهٰذا قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في الكافية الشافية غير الألفية متن أكبر من الألفية:

ومنْ رَأَىٰ النفيَ بِلَنْ مُؤبَّدا فقولَه أُردُد وسِواهُ فاعْضُدا

(ومنْ رَأَىٰ النفيَ بِلَنْ مُؤبَّدا) وهم المعتزلة، (فقولَه أُردُد) لأنه لا يُعرف عن العرب ذلك، (وسِواهُ فاعْضُدا) لأن (لن) لا تدل علىٰ النفي المؤبد ودليل ذلك من القرآن أن الله جل وعلا أخبر عن مريم أنها قالت: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[مريم]، فلو كانت ﴿لَنْ﴾ تدل علىٰ النفي المؤبد لم يكن التقييد بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ له معنىٰ أليس كذلك؟ فقوله جل وعلا: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ظاهر في الدليل من أنّ ﴿لَنْ﴾ لا تقتضي التأبيد، كما قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا ﴿لَنْ﴾

ومنْ رَأَىٰ النفيَ بِلَنْ مُؤبَّدا فقولَه أُردُد وسِواهُ فاعْضُدا

علىٰ كل حال هٰذه المباحث التي نتعرّض لها مختصرة، والحديث عن هٰذه المسائل ينبغي فهمه، لكن نذكر ما يناسب الوقت والزمان، لكن من رام التفصيل فليرجع إلىٰ الكتب التي فُصلت فيها هٰذه المسائل.

فنحن نعطيكم إشارات فيها كفاية لمن تأملها وفهمها جيّدا، ولكن من رام المزيد فليطلب ذلك في الكتب المفصلة.

[المتن]

[فصل]

ومِنْ صِفاتِ اللهِ تعالىٰ أَنَّهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ لا يَكُونُ شَيءٌ إلاَّ بِإرادَتِهِ وَلا يَخْرُجُ شَيءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَلَيْسَ في العالَمِ شيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَلا يَصْدُرُ إلا عَنْ تدبِيرِهِ، ولا مَحِيدَ عَنِ القدَرِ المقدورِ، ولا يتجاوَزُ ما خُطَّ في اللَّوحِ المسْطورِ أرَاد ما العالَمُ فاعِلوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُم لمَا خالَفوهُ، وَلَوْ شاءَ أنْ يُطِيعُوهُ

جَمِيعًا لأَطاعُوهُ، خَلَقَ الخَلْقَ وأفعالَهم، وقَدَّرَ أرْزَاقَهُم وآجَالَهُم، يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [برحمته ويضل من يشاء][1] بِحِكْمَتِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء]، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[الفرقان]، وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[الأنعام:١٢٥].

وروَىٰ ابنُ عُمَرَ أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلامُ قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «أنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، [وَتُؤْمِنَ] بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» فقال جبريل: صَدَقْتَ. رواه مسلم.[2]

وقال النبيُّ ﷺ: «آمنْتُ بالقدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ».[3]

ومِنْ دُعَاءِ النَّبيِّ ﷺ الّذي علَّمَهُ الحسَنَ بْنَ عَلِيٍّ يَدْعُو بِهِ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ».[4]

[الشرح]

الركن السادس من أركان الإيمان هو الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالىٰ.

والقضاء والقدر لفظان يكثر ورودهما فهل بينهما فرق؟

- من أهل العلم من قال: إنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فالقضاء هو القدر، والقدر هو القضاء.
- وفرَّق طائفة من أهل العلم بين القضاء والقدر؛ بأنّ القدر هو ما يسبق وقوع المقدَّر، فإذا وقع

---

(١) زيادة من نسخة أخرىٰ.

(٢) «صحيح البخاري» (ح٥٠)، «صحيح مسلم» (ح٨). واللفظ له.

(٣) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث»، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك، ويزيد الرقاشي ضعيف، كما في التقريب بل قال النسائي: متروك وأحمد: منكر الحديث. وجاء في «سنن ابن ماجه» (ح٨٧)، بلفظ «وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها». قال الألباني: ضعيف جدا.

(٤) «جامع الترمذي» (ح٤٦٤)، و«سنن أبي داود» (ح١٤٢٥)، و«سنن النسائي» (ح١٧٤٥)، «سنن ابن ماجه» (ح١١٧٨). قال الألباني: صحيح.

المقدَّر وانقضىٰ سُمِّي قضاءً، فما قبل وقوع المقدَّر مشاهدا معلوما به يسمىٰ قدرا، وإذا وقع ومضىٰ سُمِّي قضاءً مع كونه يسمىٰ قدَرا يعني باعتبار ما قضي، وهٰذا التفريق حسن وظاهر، وذلك لأن مادة القضاء تختلف عن مادة القدر في اللغة، وقوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**» هٰذا باعتبار أن ما قدَّر الله جل وعلا هو قضاء؛ يعني أنه كائن لا محالة، فيسأل الله جل وعلا أن يدفع عنه شر ما قدّر وما قضىٰ.

وكثير من أهل العلم ومنهم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره يقولون: لا فرق بين القضاء والقدر، فالقضاء هو القدر والقدر هو القضاء فيتواردان.

الإيمان بالقدر علىٰ مرتبتين؛ يعني كيف يكون إيمان أهل السنة والجماعة بالقدر؟ علىٰ مرتبتين:

- المرتبة الأولىٰ ما يسبق حصول المقدَّر؛ ما يسبقه في الزمان؛ يعني ما كان في الماضي.
- المرتبة الثانية هي ما يكون حال وقوع المقدَّر.

أمّا **المرتبة الأولىٰ**: فتضم مرتبتين أيضا: الأولىٰ هي العلم، والثانية هي الكتابة. وهٰذه سابقة، والله جل وعلا علم ما الخلق عاملون إلىٰ يوم القيامة، وكتب جل وعلا -وهٰذه المرتبة الثانية- مقادير الخلائق إلىٰ قيام الساعة قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء.(١)

فإذن السابق من مراتب القدر أننا نؤمن بأن الله جل وعلا علم ما الخلق عاملون من خير وشر ومن أحوالهم وسكناتهم، وعلمه بهٰذا لم يزل أوَّلْ؛ لأنه جلّ وعلا عالم بهٰذا، ولم يتضرع إليه جل وعلا عدم العلم بهٰذا.

الثاني أنه جل وعلا كتب هٰذا في اللوح المحفوظ؛ يعني ما الخلق عاملون، وما هم سائرون فيه ومن سيُهدىٰ منهم، ومن سيضل، وكفر الكافر، ومعصية العاصي، وطاعة المطيع، وكل الحركات والسكنات هي مكتوبة في اللوح المحفوظ.

---

(١) «صحيح مسلم» (ح٢٦٥٣).

قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج] فذكر في آية الحج هٰذه مرتبتين التي هي المرحلة الأولىٰ؛ والمرتبة الأولىٰ السابقة وهما العلم والكتابة، فنوقن بأن الله جل وعلا لم يحدث له علم بشيء، وليس الأمر أُنف؛ بل الله جل وعلا عالم بكل شيء قبل أن يكون أي شيء، وبعد ذلك كتب الله جل وعلا في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق إلىٰ قيام الساعة، فلا يتعدون ما كتب لهم.

المرتبة الثانية: ما يواكِب المقدور، فأهل السنة والجماعة يجعلون المرتبة الثالثة من مراتب القدر وهي المرحلة الثانية، -المرحلة الأولىٰ علم وكتابة- المرحلة الثانية ما يوافق المقدّر، وهي:

أولا: أن الله جل وعلا مشيئته نافذة في عباده؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يحدث في ملكه وملكوته شيء إلا وقد أذن الله جل وعلا به كونا، فطاعة المطيع أذِن الله بها كونا، ومعصية العاصي أذن الله بها كونا، وكفر الكافر أذِن الله جل وعلا بها كونا، والمصائب التي تصيب العباد أذِن الله بها كونا ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠]، فما يشاء العبد داخل في مشيئة الله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[الإنسان]، فجعل مشيئة العبد تبعا لمشيئة الله جل وعلا، وأنّ العبد إذا شاء شيئا لا يكون استقلالا؛ بل إذا شاء الله جل وعلا أن يكون كان.

الثانية في هٰذه المرحلة: وهي الرابعة من مراتب القدر، أنّ الله جل وعلا لا يكون في ملكه شيئا إلا وهو خالقه، فالله جل وعلا خالق كل شيء كما قال جل وعلا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[الزمر]، فالله جل وعلا خلق كلَّ شيء، من ذلك طاعة المطيع ومعصية العاصي، من ذلك أفعال العباد، من ذلك المصائب، كل ما يحدث في ملكوت الله جل وعلا خالق له.

هاتان المرتبتان أو المرحلة الثانية هٰذه تواقع المقدور، يعني إذا حصل المقدّر وشاء الله وقوعه بما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وسبق به علم الله جل وعلا، لا يكون إلا بمشيئة الله جل وعلا، وإذا كان فالله جل وعلا هو الذي خلقه.

هٰذا الأمر بمراتبه الأربعة هو ما يعتقده أهل السنة والجماعة، **فعندهم القدر** هو: علم الله جل وعلا الأزلي بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ثم مشيئته جل وعلا لها، وخلقه جل وعلا للأشياء جميعا.

هٰذا تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة، فشمل هٰذا التعريف الأربع مراتب: العلم، والكتابة، المشيئة العامة، الخلق لكل شيء؛ فالله جل وعلا خالق كل شيء.

خالف بعض أهل البدع فقالوا: إن الله جل وعلا لا يخلق فعل العبد؛ بل العبد يخلق فعل نفسه، وهٰذا هو قول القدرية يعني نفاة القدر.

والجواب أن الله جل وعلا قال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات] فخلق الله جل وعلا العباد وأعمالهم، فعمل العبد من الطاعات والمعاصي مخلوق لله جل وعلا؛ لكنه واقع بمشيئته، وهو الذي خلقه، وإذا كان معصية فإنما أذن بها كونا، ولم يرض بها شرعا ودينا؛ أرادها كونا ولم يُرِدْها شرعا، فهو جل وعلا لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا يكون في ملكه شيء إلا وهو خالقه، وهو الذي أنشأه فصوره وبرأه وخلقه، ويُجامع هٰذا في معصية العاصي وكفر الكافر وأنه لا يرضىٰ بتعدي الشرع.

نفاة القدر قسمان:

قدرية غلاة: وهؤلاء هم نفاة العلم، وهؤلاء فرقة انقرضت، وهي التي قال فيها أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فهم إن أقروا به خُصموا وإن أنكروه كفروا.

الطائفة الثانية القدرية: الذين ينفون خلق الله جل وعلا لأفعال العباد، وينفون القدر ويقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه.

ويقابلهم الجبرية، والجبرية قسمان:

جبرية غلاة: وهم الذين يقولون: إن المرء ليس له اختيار بتاتا؛ بل هو كالريشة في مهب الريح، وهٰذا اعتقاد الجهمية، وطوائف من الصوفية الغلاة موجودون اليوم.

والطائفة الثانية الجبرية غير الغلاة: وهؤلاء هم الأشاعرة، فإن الأشاعرة يقولون بالجبر؛ لكنه جبر مؤدب؛ يعني جبر في الباطن دون الظاهر، يقولون: ظاهر المكلف أنه مختار، ولكنه في الباطن مجبر،

ولهٰذا اخترعوا لفظ الكسب، فاخترع أبو الحسن الأشعري لفظ الكسب، وقال: إن الأعمال كسب للعباد.

ما تفسير الكسب؟

اختلف حُذَّاقهم في تفسير الكسب إلىٰ نحو من اثني عشر قولا، ولا يهمنا ذكر هٰذه الأقوال الآن، لكنه خلاصة الأمر أنه لا معنىٰ للكسب عندهم، ولهٰذا قال بعض أهل العلم:

مِمّا يُقال ولاَ حقيقةَ تَحْتَهُ[1] مَعْقُولَةٌ تَدْنُو لِذِي الأَفْهَامِ

الكَسْبُ عِنْدَ الأَشْعَرِي وَالحَالُ عِنْدَ البَهْشَمِي وَطَفْرَةُ النَّظَّامِ

ثلاثة لا حقيقة لها، فالكسب إذا أردت أن تفسره أو تستفسر من أشعري ما معناه، لا يكاد يجتمع منهم جماعة علىٰ تفسيره بتفسير صحيح، ولهٰذا ذكر بعض شُرّاح الجوهرة -من متون الأشاعرة المعروفة- جوهرة التوحيد: أنه لابد من الاعتراف بأننا جبرية، ولكننا جبرية في الباطن دون الظاهر، فلسنا كالجبرية الذين يقولون للإنسان مجبر مطلقا، لا، ولكنه مختار ظاهرا، ولكنه مجبر باطنا.

طيب، كيف تفسرون الأفعال التي تحصل من العبد؟ قال: هو كالآلة التي يقوم الفعل بها فإمرار السكين، لا نقول: إن السكين هي التي أحدثت القطع؛ ولكن نقول: حدث القطع عند الإمرار، كذلك العبد نقول: هو أُجبر علىٰ الصلاة؛ أُجبر علىٰ الصلاة لما قام، هو عصىٰ وأُجبر علىٰ المعصية لما أتىٰ، فيجعلونه كالآلة وكالمحل الذي يقوم بها إجبار الله جل وعلا عليه، وينفذ فيه حكم الله جل وعلا، وهٰذا غاية في المخالفة لما دلّت عليه النصوص.

فالأشاعرة طائفة من الجبرية، والمعتزلة طائفة من القدرية، والجبرية الغلاة والقدرية الغلاة قد مرّ بك تفصيل الكلام علىٰ اعتقادهم.

وبهٰذا يتبين لك خلاصة ما يتعلّق القدر، وأنّ الله جل وعلا مقدِّر للأشياء قبل وقوعها، ومعنىٰ

---

(١) قال شيخ الإسلام في رسالة له ضمن «مجموعة الفتاوي» -أَقْوَمُ ما قيل في القضاءِ والقدرِ والحِكمةِ والتَّعليلِ- (٨/ ٨٠ ط دار الجيل): أثبَتُوا كسْبًا لا حقيقةَ له، فإنَّه لا يُعقل من حيث تعلُّقِ القُدرةِ بالمقدُورِ فرق بين الكسب والفعل؛ ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هٰذا، ويقولون: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طَفْرَة النَّظَّام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري.

ذلك أنه علم ذلك، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنّ قضاءه نافذ في عباده لا يخرجون عما قدّر ولا عما قضىٰ، وأن ذلك لا يعني إجبار العبد؛ بل هو يفعل باختياره ويجازىٰ علىٰ أفعاله.

[المتن]

ولاَ نجعلُ قضاءَ اللهِ وقدَرَهُ حُجَّةً لنا في تَرْكِ أوامِرِهِ واجْتِناب نَوَاهِيه، بلْ يجبُ أنْ نُؤمِنَ ونَعْلَمَ أنَّ لله علينا الحُجَّةَ بإنزال الكتُب، وبَعْثَةِ الرُّسُلِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء:١٦٥].

ونعلَمُ أنَّ اللهَ ﷻ ما أَمَرَ ونَهىٰ إلاَّ المستطيعَ للفِعْلِ والتَّرْكِ، وأنَّه لـمْ يُجْبِرْ أَحَدا علىٰ معصيةٍ، ولا اضْطَرَّهُ إلىٰ تَرْكِ طَاعَةٍ، وقال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن:١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ ﴾[غافر:١٧].(١)

فَدَلَّ علىٰ أنَّ للعبْدِ فِعْلاً وكَسْبًا يُجْزَىٰ علىٰ حَسَنِهِ بالثَّوابِ، وعلىٰ سَيِّئِهِ بالعِقابِ، وهو واقِعٌ بقضاءِ الله وقَدَرِه.

[الشرح]

ليس معنىٰ إثبات القدر أننا نقول: إننا مجبرون علىٰ أعمالنا، وأن يكون قضاء الله جل وعلا وقدره حجة لنا في ترك ما فرض علينا، فإذا ترك العبد فرضا من فرائضه قال: قُدِّر علي، أو ترك واجبا من الواجبات قال: قُضي عليَّ، وإذا فعل معصية قال: هٰذا مُقدّر عليّ.

وأهل السنة والجماعة يقولون: **لا يُحتجّ بالقدر علىٰ المعايب، ولكن يحتجّ بالقدر في المصايب.** فإذا وقعت مصيبة علىٰ العبد فإنه يقول: هٰذا قضاء الله وقدره فلا تلمني علىٰ شيء قضاه الله وقدّره؛ ولكن إذا كان منه تفريط في أمر واجب فإنه لا يحتجّ بالقدر علىٰ المعصية، وإنما كما قال أهل

(١) هذه الفقرة لم يقرأها قارئ المتن.

السنة: يُحتجّ بالقدر في المصائب لا في المعائب. وهٰذا مأخوذ من قصة محاجّة آدم عليه السلام مع موسىٰ عليه السلام.

وهنا ذكر الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ لفظ الكسب أيضا، وهٰذا الموضع مما أنتقد عليه أيضا، وذلك أن لفظ الكسب مما استعمله الأشاعرة وجاء في القرآن ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]؛ ولكنه إذا كان في باب الاعتقاد فينبغي إذا استعملت الألفاظ التي يستدل بها أهل البدع ينبغي أن يكون استعمالها موضَّحا بالمعنىٰ الصحيح، فلا تُستخدم الألفاظ التي تحتمل معنىٰ ليس بصحيح كما عليه أهل البدع، فقوله عز وجل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ يعني عمِلت، فالكسب في القرآن هو العمل، أما عند الأشاعرة ومن شابههم من المبتدعة فاستعملوا الكسب بمعنىٰ أنّ العبد يكون محلاً لفعل الله جل وعلا، فيقول: هو كسَب الفعل لأنه محله، ولا يجعلونه فاعلا حقيقة، ولكن العبد فاعل لفعله حقيقة، والله جل وعلا هو الذي خلق فعله، فيُضاف الفعل إلىٰ الله جل وعلا خلقا وتقديرا، ويضاف الفعل إلىٰ العبد أيضا فعلا منه واختيارا وعملا، فهو فاعل لفعله حقيقة، والله جل وعلا هو الذي خلق العبد وخلق أفعاله.

وبهٰذا يتبيّن لك مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر، وهي مسألة مهمة، ولكن لنتذكّر قول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "القدر سر الله فلا تكشفه." يعني أن القدر من الأسرار التي إذا أتىٰ العبد وخاض فيها فإنه لن يصل فيها إلىٰ مبتغاه، إلا إذا سار علىٰ ما دلت عليه النصوص، وقد جاء في بعض الأحاديث «**وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**»[1] لأن العبد إذا خاض في هٰذا علىٰ غير بصيرة فإنه يقع في الضلال، وسبب ضلال الخلق أنّهم دخلوا في تعليل أفعال الله، ودخلوا في البحث في مسائل القدر دون معرفة لما دل عليه الكتاب والسنة.

ولهٰذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تائيته القدرية التي ردّ بها علىٰ اليهودي الذي شكّك في

(١) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤) وقال: روي من حديث ابن مسعود، وثوبان، وابن عمر، وطاوس مرسلا، وكلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضا.

قدر الله جل وعلا وفي أفعال الله، قال من ضمن ما قال فيها:

وأصلُ ضلالِ الخلْقِ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ هو الخوضُ في فعْلِ الإلهِ بعلَّةٍ
فإنَّهمُ لم يَفْهَمُوا حِكْمَةً لَهُ فصاروا علىٰ نَوْعٍ مِنَ الجاهليَّةِ

وما أحسن قول ابن الوزير أيضا في كتابه: "**إيثار الحق علىٰ الخلق**" لما تعرّض لمسألة التعليل وأفعال الله جل وعلا وكيف نفهم القدر، وأنّه يجب علينا أن نَسْلُوَا ونبتعد عن فهمنا للحِكَم جميعا، قال مما قال في أبيات لطيفة طيبة قال:

تسلّ عن الوفاق فربنا قد حكىٰ بين الملائكة الخصاما
كذا الخضِر المكرّم والوجيه الـ ـمكلّم إذ ألم به لماما
تكدر صفو جمعهما مرارا وعجل صاحب السرّ الصراما
ففارقه الكليم كليم قلب وقد ثنّىٰ علىٰ الخضر الملاما
وما سبب الخلاف سوىٰ اختلاف الـ ـعلوم هناك بعضا أو تماما
فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفا فيها الأناما

لأننا لو فهمنا، لو كان علمنا كعلم الله جل وعلا لفهمنا الأسرار، لكن علمنا قاصر، فلا يمكن أن نفهم قال هنا مبينا السر في ذلك: (وما سبب الخلاف) وهٰذه قاعدة عامة:

وما سبب الخلاف سوىٰ اختلاف الـ ـعلوم هناك بعضا أو تماما
فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفا فيها الأناما

(فلا تجهل لها قدْرا) يعني هٰذه وصية.

فلا تجهل لها قدْرا وخذها شكورًا للذي يحيىٰ الأناما[1]

وهٰذا ظاهر، في أن العبد المؤمن يتأمل في قصة موسىٰ، وأن موسىٰ أنكر علىٰ الخضر بعض الأفعال؛ لأنه لا يعلم الحكمة من ورائها؛ قتل غلاما ما يعلم الحكمة من ورائه فاحتج، وخرق سفينة لا يعلم الحكمة من ورائها فاحتج؛ لأجل نقص علمه في تلك المسائل عن علم الخضر، فكيف بعلم الله جل وعلا مع الخلق، لم يبق لنا في هٰذا الباب إلا التسليم المحض والعمل الجاد.

أسأل الله أن يهدينا وإياكم إلىٰ سبيله القويم، وأن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا العلم والعمل والسداد.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

---

(١) اللفظ المذكور في الكتاب هو (العظاما)

بسم الله الرحمن الرحيم

[المتن]

[فصل]

والإيمانُ قولٌ باللسانِ وعملٌ بالأركانِ وعَقْدٌ بالجَنَانِ، يزيدُ بالطاعةِ وينْقُصُ بالعصيانِ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة]، فجعَلَ عبادَةَ اللهِ تعالىٰ وإخلاصَ القلبِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاءَ الزَّكاةِ، كُلَّهُ مِنَ الدِّينِ.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ».(١)

فجعَلَ القَوْلَ والعَمَلَ مِنَ الإيمانِ. وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾[التوبة:١٢٤]، وقال: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾[الفتح:٤].

وقال رسولُ الله ﷺ «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ أَوْ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ»(٢) فجعَلَهُ متفاضلاً.

[الشرح]

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين الرحمٰن الرحيم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهٰذه الجمل فيها ذكر مبحث الإيمان ومعتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، ومن أوائل

---

(١) «صحيح مسلم» (ح٣٥).

(٢) «صحيح البخاري» (ح٤٤)، «صحيح مسلم» (ح١٩٣).

المسائل الواقعة في هٰذه الأمة مما اختلف فيه أهل الفرق عن ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان مسألة الإيمان؛ هل تدخل الأعمال في مُسمّىٰ الإيمان؟ وهل الإيمان متفاضلا؛ يتبعّض؟ يعني هل يزيد وينقص؟ وهل هو أبعاض؟ قد يذهب بعضه ولا يذهب كلُّه؟

فقال أولئك الضُّلاّل: إنّ الإيمان قول واعتقاد، وأما العمل فلا يدخل في مسمىٰ الإيمان، وهؤلاء يسمون المرجئة والمرجئة علىٰ قسمين:

١. غلاة المرجئة: الذين يقولون: إنّ الإيمان هو المعرفة؛ معرفة القلب لا غير، وهٰذا موجود اليوم في غلاة المتصوفة، وفي طوائف متنوّعة.

٢. والقسم الثاني: الذين يقولون: إنّ الإيمان قول واعتقاد، ويُخرجون العمل عن مُسمّىٰ الإيمان، فيجعلونه تابعا للإيمان، وليس منه، وليس من مسماه، يعني أن العمل ليس ركنا في الإيمان لا يقوم الإيمان إلا به، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ مرجئة الفقهاء، كثر هٰذا في الحنفية لأنه قد قال به الإمام أبو حنيفة.

وطائفة أخرىٰ خالفت، وقالت: إنّ الإيمان إما أن يبقىٰ جميعه، وإما أن يذهب جميعه، فليس متفاضلا، فإذا عمل العبد بالمعصية الكبيرة فإنه يذهب جميعُ إيمانه. فالإيمان علىٰ حالين: إما أن يبقىٰ، وإما أن يذهب، وليس الإيمان متبعّضا يزيد وينقص وقد يذهب بعضُه ولا يذهب أصلُه. وهٰذا هو المعروف من قول الخوارج ومن نحا نحوهم من التكفير بالذنوب والمعاصي.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان أنهم يقولون: إنّ الإيمان هو ما جمع خمسة أمور؛ يعني معتقدهم في الإيمان ما جمع خمسة أمور:

- **الأول**: اعتقاد القلب.
- **الثاني**: قول اللسان.
- **الثالث**: العمل؛ عملٌ بالأركان.
- **الرابع**: أن الإيمان يزيد بطاعة الرحمٰن.
- **الخامس**: أن الإيمان ينقص بمعصية الرحمٰن وبطاعة الشيطان.

فهٰذه خمسة أمور تميز بكل واحد منها أهل السنة والجماعة عمّن خالفهم في هٰذا الأصل، وأدلّة ذلك

ظاهرة بينة، فهو قول وعمل.

فالإيمان قول وعمل؛ قول القلب وعمل القلب، وقول الجوارح وعمل الجوارح:

- وقول القلب: هو نيّته وإخلاصه.
- وعمل القلب: هو ما يقوم به من الاعتقاد.
- وقول الجوارح: هو قول اللسان.
- وعمل الجوارح: هو جنس الأعمال التي تعمل بها الجوارح من طاعة الله جل وعلا.

فهو قول وعمل، فمن قال من السلف: إنّ الإيمان قول وعمل. فيعني به هٰذه الأمور الخمسة؛ لأن قولَه: قول وعمل. يشمل ذلك.

أما زيادته ونقصانه فقد دلت عليها الأدلة الكثيرة.

فإذن صار عندنا مسمًّىٰ للإيمان غير ما تدل عليه اللغة في الإيمان، وذلك أنّ الإيمان:

في **اللغة**: أصله التّصديق الجازم، وقال بعض أهل العلم: إنّ أصله من الأمن؛ لأنّ من صدَّق جازما فإنه يأمن غائلة التّكذيب.

وفي **الاصطلاح**: عند أهل السنة والجماعة هو ما فسّروه بالأمور الخمسة.

وفي القرآن أتىٰ الإيمان بالمعنىٰ اللغوي وبالمعنىٰ الشرعي، وقد فرّق بين مجيء هٰذا وهٰذا في القرآن بعض أهل العلم بقوله: "**إن غالب ما جاء فيه الإيمان بالمعنىٰ اللغوي فإنه يُعَدَّىٰ باللام، وما جاء فيه بالمعنىٰ الشرعي فإنه يُعدَّىٰ فيه بالباء**".

فمن **الأول**: يعني الإيمان اللغوي الذي عُدي باللام قوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧]، فلما قال: ﴿بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ تعدّىٰ الإيمان باللام علمنا أن المعنىٰ هنا الإيمان اللغوي، تقول: آمنت لك، يعنىٰ صدّقتك تصديقا جازما، وكما قال جل وعلا: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦] يعنىٰ صدّق به تصديقا جازما.

أما القسم **الثاني**: وهو الإيمان الشرعي فإنه يعدّىٰ بالباء ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[البقرة:١٣٨] فهٰذا إيمان شرعي خاص.

وزيادة الإيمان ونقصانه أصل عند أهل السنة والجماعة يخالفون به الخوارج ومن يكفّرون بالذنوب.

وينبغي أن يُعلم هنا أنّ أهل السنة يقولون: لا نكفر بذنب. ويقصدون بذلك لا يكفّرون بعمل المعاصي، أما مباني الإسلام العظام التي هي الصلاة والزكاة والصيام والحج ففي تكفير تاركها والعاصي بتركها خلاف مشهور عندهم، فقولهم: "إنّ أهل السنة والجماعة يقولون: لا نكفر بذنب ما لم يستحله بإجماع." يعني المعصية، أما المباني العظام فإن التكفير عندهم الخلاف فيه مشهور؛ منهم من يُكَفِّر بترك مباني الإسلام العظام أو أحد تلك المباني، ومنهم من لا يُكَفِّر.

كذلك ينبغي أن يُعلم أن قولنا: "العمل داخل في مسمَّىٰ الإيمان وركن فيه لا يقوم الإيمان إلا به." نعني به جنس العمل، وليس أفراد العمل، لأن المؤمن قد يترك أعمالا كثيرة صالحة مفروضة عليه ويبقىٰ مؤمنا، لكنه لا يُسمّىٰ مؤمنا ولا يصحّ منه إيمان إذا ترك كل العمل.

يعني إذا أتىٰ بالشهادتين وقال: أقول ذلك وأعتقده بقلبي، وأترك كل الأعمال بعد ذلك وأكون مؤمنا.

فالجواب أن هٰذا ليس بمؤمن؛ لأنّ ترك العمل مسقطٌ لأصل الإيمان؛ يعني ترك جنس العمل مسقط لأصل الإيمان؛ يعني ترك جنس العمل مُسقط للإيمان، فلا يوجد مؤمن عند أهل السنة والجماعة يصحّ إيمانه إلا ولابد أن يكون معه مع الشهادتين جنس العمل الصالح، يعني جنس الامتثال للأوامر والاجتناب للنواهي.

كذلك الإيمان مرتبة من مراتب الدين، والإسلام مرتبة من مراتب الدين، والإسلام فُسِّر بالأعمال الظاهرة، كما جاء في المسند أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان في القلب والإسلام علانية**»[1] يعني أن الإيمان

---

(١) «**مسند أحمد**» (**تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين**) (ح١٢٣٢٢)، عن أنس، قال حمزة الزين: إسناده حسن لأجل علىٰ بن مسعدة، وثقه أبو حاتم وابن معين، وابن معين والطيالسي وابن حبان، وضعفه آخرون.

قال صالح آل الشيخ في «فضل الإسلام»: رواه الإمام أحمد في «مسنده» بإسناد فيه ضعف؛ لكن معناه ظاهر وتشهد له الأحاديث الأخرىٰ. وأيضا مال علي الحلبي إلىٰ تحسينه في تعليقه علىٰ الأربعين. وضعَّفه الألباني.

ترجع إليه العقائد -أعمال القلوب-، وأمّا الإسلام فهو ما ظهر من أعمال الجوارح، فليُعلم أنّه لا يصح إسلام عبد إلا ببعض إيمان يصحّح إسلامه، كما أنَّه لا يصح إيمانه إلا ببعض إسلام يصحح إيمانه، فلا يُتصوّر مسلم ليس بمؤمن البتة، ولا مؤمن ليس بمسلم البتة.

وقول أهل السنة: "**إنّ كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا**" لا يعنون به أن المسلم لا يكون معه شيء من الإيمان أصلا، بل لابد أن يكون معه مطلق الإيمان الذي به يصح إسلامه، كما أن المؤمن لابد أن يكون معه مطلق الإسلام الذي به يصح إيمانه، ونعني بمطلق الإسلام جنس العمل.

فبهٰذا يتّفق ما ذكروه في تعريف الإيمان وما أصَّلوه من أن كل مؤمن مسلم دون العكس.

فإذن هاهنا كما يقول أهل العلم عند أهل السنة والجماعة خمس نونات:

- النون الأولىٰ: أن الإيمان قول اللسان، هٰذه النون الأولىٰ يعني اللسان.
- الثانية: أنه اعتقاد الجنان.
- الثالثة: أنه عمل بالأركان.
- النون الرابعة: أنه يزيد بطاعة الرحمٰن.
- الخامسة: أنه ينقص بطاعة الشيطان وبمعصية الرحمٰن.

والإيمان متفاضل؛ كلما عمل العبد طاعة زاد الإيمان، وإذا عمل معصية نقص الإيمان[1]؛ فبقدر متابعته وبقدر إحداثه للطاعات يزيد إيمانه، سواءً كانت طاعات القلوب من الاعتقادات، أو طاعات الجوارح من الأعمال الصالحات، فإنّ بذلك زيادة في الإيمان، فإذا عمل معصية نقص الإيمان.

كذلك الناس في أصل الإيمان ليسوا سواء؛ بل مختلفون، فإيمان أبي بكر ليس كإيمان سائر الصحابة، ولهٰذا قال شعبة أبو بكر بن عياش القارئ المعروف: "**ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام، وإنما بشيء وقر في قلبه**." وهٰذا مستقىً من بعض الأحاديث أو من بعض الآثار، يعني أن أبا بكر الصديق ﷺ كان معه من أصل الإيمان ما ليس عند غيره، فيُغلِّطُ أهل السنة من قال: إن أهل الإيمان في أصله سواء، وإنما يتفاضلون بعد ذلك بالأعمال. بل هم مختلفون في أصله.

---

(١) انتهىٰ الشريط الثاني.

وفهم معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان يمنع من الدخول في الضلالات؛ من التكفير بالمعصية، أو من التكفير بما ليس بمكفر، فمن فهم معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، حصّن لسانه وعقله من الدّخول في الغلو في التكفير، وإتّباع الفرق الضالة التي سارعت في باب التكفير، فخاضت فيه بغير علم، فكفّروا المسلمين، وأدخلوا في الإسلام والإيمان من ليس بمسلم ولا مؤمن.

[المتن]

ويجبُ الإيمانُ بكلِّ مَا أَخبرَ به النبيُّ ﷺ وصَحَّ به النَّقلُ عَنْه فيما شَاهَدْناه أو غابَ عَنّا نَعْلَمُ أنَّه حَقٌّ وصِدقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عقَلْناهُ وجَهِلناهُ، ولم نَطَّلِعْ علىٰ حقيقةِ معناهُ، مِثْلَ حديثِ الإسْراءِ والمِعراجِ وكان يَقَظَةً لا مَنامًا، فإنَّ قُرَيْشًا أنْكَرَتْهُ وأَكْبَرَتْهُ ولم [تكن][1] تُنْكِرُ المناماتِ.

ومِنْ ذلك أنَّ ملَكَ الموْتِ لمَّا جاءَ إلىٰ موسىٰ عليه السلامُ ليَقْبِضَ روحَهُ لَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إلىٰ ربِّهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ عَيْنَهُ.

ومِنْ ذلك أشراطُ السّاعةِ، مِثْلُ خُروجِ الدَّجَّالِ، ونُزولِ عيسىٰ بنِ مريمَ عليه السلامُ فيَقْتُلَهُ، وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، وخروج الدَّابّةِ، وطُلُوعِ الشَّمسِ مِنْ مغْرِبِهَا، وأشْباهِ ذلك مما صحَّ به النَّقْلُ.

وعذابُ القبْرِ ونعيمُه حقٌّ، وقد استعاذَ النبيُّ ﷺ مِنْهُ، وأَمَرَ بِهِ في كلِّ صلاةٍ.

وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ، وسُؤالُ مُنْكَرٍ ونكيرٍ حقٌّ، والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلامُ في الصُّورِ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[يس].

[الشرح]

هٰذه الجمل مشتملة علىٰ أصل عند أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يسلِّمون بما جاء من النصوص في أمور الغيب، ولا يدخلون في ذلك متأولين بآرائهم وأفهامهم، وإنما يسلِّمون الجميع مما جاء من الأمور الغيبية، ويصدّقون دون دخول في تأويل أو تحريف؛ وذلك لأنّ الأحاديث بل والآيات التي

(١) في نسخة.

فيها ذكر الأمور الغيبية مما خاض فيه المبتدعة من العقلانيين المعتزلة ومن نحا نحوهم، فأنكروا كثيرا من تلك الأحاديث التي فيها بعض أخبار الغيب، مثل ما جاء في حديث الإسراء من بعض الأوصاف، ومثل ما جاء من أن موسىٰ عليه السلام فقأ عين ملك الموت، ممن مثل ما أخبر به النبي ﷺ به مما يكون في الساعة، فينكرون حقائق ذلك ويؤولونه ويحرفونه.

وأهل السنة عندهم أمور الغيب بابها واحد؛ وهو أن يُسلَّم لكل نص دون دخول في حقيقة المعنىٰ، لأنّ الأمر الغيبي إنما يسلمون فيه بظاهر المعنىٰ الذي دلّ عليه النص، أما ما عليه حقيقة تلك الأحوال فإنهم يكلُون علمها إلىٰ بارئها؛ لأنها أمور غيبية، فكل ما أخبر به النبي ﷺ مما لم نرَه، سواء مما سيكون قرب قيام الساعة، أو سيكون بين موت كل عبد إلىٰ قيام الساعة -يعني في الحياة البرزخية-، أو ما يكون في عرصات القيامة ويوم القيامة، كل ذلك يجعلونه بابا واحدا فيسلمون به ويثبتونه كما جاء، ولا يدخلون فيه متأولين ولا محرفين، وهٰذا بناء علىٰ أن الواجب علىٰ العباد أن يؤمنوا بظواهر الألفاظ، وأن يؤمنوا بظاهر الأدلة، ولا يدخلون في ذلك، مخرجين الأدلة عما دلّ عليه ظاهرُها، لأن الأصل في الكلام الحقيقة، وهو ذكر عدة أمثلة، وسيأتي ذكر عدة أمثلة أخر مما سنوضحه إن شاء الله تعالىٰ.

لكن ليُعلم الأصل أنّ كل من دخل في أحاديث الغيب؛ الأحاديث التي فيها أمور غيبية، أو بعض الآيات، ودخل متأولا بعقله، محرفا عن ظاهره، فهو من أهل الأهواء والبدع.

وقد ظهر في هٰذا الزمان طائفة ممن يحكّمون عقولهم علىٰ النصوص، ويستنكرون مثل هٰذه الأحاديث التي فيها ذكر الغيب، ويحرِّفون ويؤولون، فأحاديث المسيح الدجال أنكروها وقالوا: هٰذه لا تعقلها العقول السليمة، وحديث فقأ موسىٰ لعين ملك الموت أولوه وقالوا: هٰذا لا تعقله العقول السليمة، وهكذا فيما يكون في عرصات القيامة، وما يكون في القبر، حتىٰ جعل بعضهم عذاب القبر إنما هو صوري، ونعيم القبر إنما هو صوري، وليس له حقيقة، قالوا: لأن ذلك غير معقول، علىٰ ما جاء تفصيله في بعض الأحاديث من مثل ضغطة القبر، ومن مثل إقعاد الميت ونحو ذلك، مما سيأتي بيانُه.

[المتن]

وفِتْنَةُ القَبْرِ حقٌّ، وسُؤالِ مُنْكَرٍ ونكيرٍ حقٌّ، والبَعْثُ بعْدَ الموْتِ حقٌّ وذلك حين يَنْفُخُ إسرافيلُ عليه السلامُ في الصُّورِ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[يس].

ويُحْشَرُ النّاسُ يومَ القيّامةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً بُهْمًا فيقِفونَ في موْقفِ القيّامةِ، حتّىٰ يَشْفَعَ فيهم نبيُّنا محمدٌ ﷺ ويُحاسِبُهُم اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ، وتُنْصَبُ الموازينُ، وتُنْشَرُ الدَّواوينُ، وتتَطايَرُ صُحُف الأَعْمالِ إلىٰ الأَيْمانِ والشَّمائِلِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الانشقاق].

والميزانُ لـه كِفَّتانِ ولِسانٌ، تُوزَنُ بـه الأعمال[1] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون].

ولنبيِّنا محمدٌ ﷺ حوْضٌ في القِيامَةِ ماؤُهُ أشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وأَبَارِيقُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بعْدَها أبدًا.

والصِّراطُ حقٌّ يَجُوزُهُ الأَبْرارُ، ويَزِلُّ عنْهُ الفُجَّارُ.

[الشرح]

عذاب القبر ونعيمه حق، وفتنة القبر حق، ونعني بفتنة القبر سؤال الملكين الميتَ عن ربه وعن دينه وعن نبيه محمد ﷺ، فأما المؤمن فيجيب فيقول: ربي الله، يعني معبودي الله، إن الرب هٰهنا بمعنىٰ المعبود، لأنّ الابتلاء وقع في العبادة لم يقع في توحيد الربوبية، ويقول: محمد جاءنا بالبيّنات والهدىٰ، ويقول: ديني الإسلام، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قوله هنا: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ يعني عند الممات، يعني حين سؤال الملكين.

فعذاب القبر ونعيمه حق، وما يجري في القبر من النعيم والعذاب حق، يُثبته أهل السنة والجماعة،

(١) في نسخة: أعمال العباد.

ونفاه من نفاه من أهل البدع والضلالات، قال جل وعلا في سورة غافر: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر]، فجعل العذاب بالنار على قسمين:

- يُعرض أولئك على النار غدوًّا وعشيا.
- ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب.

وهٰذا نفهم منه أنه يعني بالغدو والعشي عذاب القبر، ولهٰذا استدل أهل السنة والجماعة على عذاب القبر بالقرآن وبالسنة، وبما يدل عليه العقل أيضا، فعذاب القبر حق، وما يحصل فيه من نعيم وبسط وسعة في قبر المؤمن، وضيق وحسرة ونار في قبر الكافر، هٰذا كله حق، ولا نعلم كيفية حصول ذلك.

كذلك ضغطة القبر حقّ ولا يَسلم منها أحد، لا المسلم ولا غير المسلم؛ فالكافر يضغط حتى تختلف أضلاعه عذابا، وأما المؤمن فيُضغطه القبر، قال أهل العلم: ضمة القبر للمسلم كضمة الحبيب للحبيب يَصِلُه منها بعض الأذى، ولكنها ضمة حبيب لحبيبه.

يعني أن ضمة القبر حق، ولكنها للمؤمن ضمة حب، وللكافر ضمة بغض وعذاب، وهٰذا كله يضعه جل وعلا ويخلقه جل وعلا في الأرض، فتضم هٰذا وتضم هٰذا، وفرق بين تلك الضمّة وتلك الضمّة.

الناس يحشرون يوم القيامة، فالناس إذا ماتوا وكانوا في قبورهم يَبلى كل شيء من ابن آدم إلا عَجْبَ الذنب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أنّ أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء يبلى من ابن آدم إلا عجْب الذنب ومنه يركَّب الخلق يوم القيامة**»[1] فتبقى هٰذه البذور التي هي آخر العظام عظام العمود الفقري، عجب الذنب، يبقى في الأرض كبذرة ينبت منها جسم صاحبها إذا أراد الله جل وعلا بَعْث الورى.

فإذا نُفخ في الصور نفخة الصعق، وماتت الخلائق جميعا إلا من شاء الله، بعث الله جل وعلا سحابا يحمل مطرا كمنيّ الرجال، فتُمطر الأرض منه أربعين صباحا، فتنبت منه أجسام الورى، تنبت منه

(١) «صحيح البخاري» (ح٤٩٣٥)، «صحيح مسلم» (ح٢٩٥٥).

أجسام الناس، حتىٰ تكون علىٰ أكمل هيئة شباب في سن ثلاث وثلاثين، الصغير والكبير يكونون علىٰ هٰذا السن إلا بعض الخلائق، ثم إذا كانوا و شبّت أجسامهم وأخرجت الأرض أثقالها ولم يكن في الأجسام أرواح، نُفخ في الصور نفخة البعث، فتنطلق الأرواح من الصور إلىٰ نفس كل صاحب نفس، فتهتز الأجسام بالأرواح، ويُحشرون إلىٰ أرض المحشر، وصف ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته وصفا بليغا جيدا يَحسن حفظه من طالب العلم فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإذا أراد الله إخـــراج الـــورىٰ	بعـد الممـات إلـىٰ المعـاد الثـاني
ألقـىٰ علـىٰ الأرض التـي هـم تحتهـا	والله مقتـــدر وذو سلطـــان
مطـــرا غليظـــا أبيضـــا متتابعـــا	عشـــرا وعشـــرا بعـــدها عشـــران
فتظـل تنبـت منـه أجسـام الـورىٰ	مثـل النبـات كأجمـل الريحـان
حتـىٰ إذا مـا الأم حـان ولادهـا	وتمخضـت فنفاسـها متدانـي
أوحـىٰ لهـا رب السـماء فتشـققت	فـإذا الجـنين كأكمـل الشبـان

ثم إذا بعث الله جل وعلا الناس ورجعت الأرواح إلىٰ الأجسام سِيق الناس إلىٰ أرض المحشر؛ منهم الراكب، ومنهم من يُساق سوقا، منهم السعيد في حشره إلىٰ أرض المحشر، ومنهم من يفد علىٰ الرحمٰن وفدا، ومنهم من يُساق إلىٰ جهنم وِردا، في عرصات القيامة تكون أمور عظام.

ومنها حوض نبينا ﷺ، والحوض يكون في أول ما يقدم الناس علىٰ عرصات القيامة، يكون حوض النبي ﷺ وماؤه من نهر الكوثر في الجنة، كما جاء إثبات ذلك في غير ما حديث بأن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة، وقد قال الله جل وعلا لنبيه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾[الكوثر]، والكوثر نهر من أنهار الجنة، وبعضهم قال: الكوثر هو الحوض، وكلا القولين صحيح؛ لأن الحوض ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة. ومن أهل العلم من يقول: إن الحوض بعد الصراط، أي بعد عبور الصراط يكون الحوض. «**ولكل نبي حوضا**»[1] وقد جاء ذلك في بعض الأحاديث وفي إسنادها بعض الشيء.

لكن أهل العلم منهم طائفة كبيرة يقولون: ولنبينا حوض ولكل نبي حوض.

لكن يختص حوض نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بخصائص منها أنه أكثر الأحواض ورودا عليه،

---

(١) «**جامع الترمذي**» (ح٢٤٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

وأن الناس منهم من يرد ومنهم من يذاد عنه، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلىٰ من العسل، آنيته كعدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، يفد عليه من لم يُحْدِث في الدين حدثا، ومنهم يُرَدُّ عن الورود عن حوض النبي ﷺ،(١) فيقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «أصحابي، أصحابي» وفي لفظ «أمتي، أمتي» فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك.(٢)

ولهٰذا قال أهل العلم: إن من أسباب عدم ورود حوض النبي ﷺ و الذَّود عنه والحرمان منه المحدثات، فمن كان محدثا في الدين حدثا أو آوىٰ محدثا فإنه يُحرم من السقيا من حوض نبينا ﷺ.

كذلك في عرصات القيامة الميزان والميزان جنس للموازين قال جلّ وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال جل وعلا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾(٣) فهي موازين، ومن أهل العلم من قال: إنه ميزان واحد.

وههنا نبه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ إلىٰ أن الميزان حقيقة، فقال: (له كِفَّتانِ ولِسانٌ) ويعني بذلك مخالفة المعتزلة الذين قالوا: إن الميزان لا يُعقل أن تكون حقيقته في الآخرة كحقيقته في الدنيا مِن أنه توزن به الأمور.

ويوزن في الميزان العمل، وصاحب العمل، وصحائف الأعمال: العمل واحد، صاحب العمل يوزن، وصحائف الأعمال.

ومنهم من قال -يعني من أهل العلم-: إن وزن صاحب العمل هو وزن عمله. لكن هٰذا جاء في أحاديث فيها وزن صاحب العمل، وفيها وزن العمل، وفيها وزن الصحائف؛ صحائف الأعمال.

كذلك مما في عرصات القيامة تطاير الصحف، والناس علىٰ صنفين:

منهم من يأخذ كتابه بيمينه.

ومنهم من يأخذ كتابه بشماله وراء ظهره.

---

(١) «صحيح مسلم» (ح٢٣٠٣).

(٢) «صحيح البخاري» (ح٦٥٨٢)، «صحيح مسلم» (ح٢٣٠٤).

(٣) سورة: الأعراف الآية (٨)، المؤمنون الآية (١٠٢).

فيكون ذلك التلقي للكتب من اليمين وعن الشمال، بشارة للمؤمن، وحسرة علىٰ الكافر، كما جاء ذلك في سورة الحاقة مبيّنا.

الصراط حق، وهو دحض مزلة، يمر عليه الناس، فمنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمرّ عليه كأسرع جواد، ومنهم يمر عليه يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم من يمشي تارة ويكبو تارة، ومنهم من يزل عنه فيخر في جهنم، منصوب علىٰ متن جهنم، والمرور عليه ذلك هو الورود الذي قال الله تعالىٰ فيه في سورة مريم: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[مريم] فقد ثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أنّه فسّر ذلك بالمرور علىٰ الصراط.(١)

وكلّ ما يكون في القيامة مما صحّت أسانيده عن النبي ﷺ، وعُدّلت نقلته، وأثبته أهل العلم، أو جاء في الآيات في الكتاب العظيم، كل ذلك يثبته أهل السنة دون أن ينفوا من ذلك ما لم تعقلْه عقولهم أو تدركْه أفئدتهم، وإنما يجعلون ذلك الباب باب غيبيات، بابه التسليم، ومداره علىٰ الاستسلام لخبر من لا معقّب لخبره، لخبر من هو صادق في خبره، لا يعلم حقيقة الأمر إلا هو، وليس أحدا يعلم إلا هو جلّ وعلا، أو ما أخبر به رسولُه ﷺ، فكل ذلك حق من كل تفاصيل ما يجري في يوم القيامة.

[المتن]

ويَشْفَعُ نبيُّنا ﷺ فيمَنْ دخلَ النّارَ مِنْ أُمّتِهِ مِنْ أَهْلِ الكَبَائِرِ فيَخْرُجونَ بِشفاعَتِهِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وصاروا فَحْمًا وحِمَمًا، فيدخلونَ الجنَّةَ بشفاعَتِهِ.

ولسائِرِ الأنبياءِ والمؤمنين والملائكةِ شفاعاتٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الأنبياء].

ولا تَنْفَعُ الكافِرَ شفاعةُ الشّافعين.

والجنَّةُ والنّارُ مخلوقتانِ لا تفْنيانِ، فالجنَّةُ مأوىٰ أوليائه، والنّارُ عِقابٌ لأعدائِهِ، وأهلُ الجنَّةِ فيها

(١) «جامع الترمذي» (ح٣١٥٩)، قال الترمذي: حسن صحيح، قال الألباني: صحيح.

مُخَلَّدونَ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾[الزخرف].

ويُؤْتَىٰ بالموْتِ في صورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُذبَحُ بين الجنَّةَ والنّارِ، ثم يُقال: "يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ ولا موْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خلودٌ ولا موْتَ".(١)

[الشرح]

إثبات الشفاعة يوم القيامة مما تميز به أهل السنة والجماعة، فهناك شفاعة متفق عليها، وهي الشفاعة العظمىٰ، وهو أنه ﷺ يشفع للناس عند ربه جل وعلا في أن يسرع في حسابهم؛ حتىٰ يرتاحوا من هول الموقف وما فيه من أمور عظام.

وذلك كما جاء في حديث الشفاعة الطويل، مِنْ أنّ الناس يذهبون إلىٰ آدم، ثم إلىٰ نوح، ثم إلىٰ إبراهيم عليه السلام، ثم إلىٰ موسىٰ، ثم إلىٰ عيسىٰ عليهم جميعا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فيرجعون ويعتذرون عن الشفاعة، يسألهم الناس أن يدعوا الله جلّ و علا ليريحهم من الموقف، ويعجِّل عليهم الحساب، فيعتذرون عن الشفاعة، ثم يأتون النبي ﷺ فيطلبون منه الشفاعة، فيقول: «**أنا لها، أنا لها**»(٢)، وذلك أن الله جل وعلا أعطىٰ كل نبي من الأنبياء دعوة يستجاب له فيها جزما، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لكل نبي دعوة مجابة، وإني ادّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»(٣) وهٰذا يحصل بالشفاعة العظمىٰ، ويحصل أيضا بالشفاعة الخاصة للمؤمنين؛ ممن دخل النار أن يخرج منها وممن استحق الجنة أن يدخل الجنة، فيأتي النّبي ﷺ بين يدي العرش فيسجد بين يدي الله جل وعلا، ويحمد الله بمحامد، فلا يتعجّل الشفاعة، ولا يتعجل الدعاء؛ بل يُثني علىٰ الله جل وعلا بما هو أهله، قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**فأخِرُّ ساجدا بين يدي العرش، فأحمد الله بمحامد يفتحها عليّ لا أحسنها الآن، ثم يقول جل وعلا: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع**»(٤) وهٰذه هي الشفاعة

(١) «صحيح البخاري» (ح٤٧٣٠)، «صحيح مسلم» (ح٢٨٤٩).

(٢) «صحيح البخاري» (ح٧٥١٠)، «صحيح مسلم» (ح١٩٣).

(٣) «صحيح البخاري» (ح٧٤٨٤)، «صحيح مسلم» (ح١٩٨).

(٤) «صحيح البخاري» (ح٧٥١٠)، «صحيح مسلم» (ح١٩٣).

العُظمىٰ؛ الشفاعة في تعجيل حساب الناس، فيبدأ الحساب.

من الشفاعات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة ما أعطيه نبينا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ من أنه يشفع لأناس استحقوا النار ألاّ يدخلوها، ويشفع لأناس دخلوا النار أن يخرجوا منها، ويشفع لمن استحق الجنة أن يدخلها ولا يتأخر عنها.

وكذلك هٰذا الجنس من الشفاعة ثابت أيضا للمؤمنين؛ فالمؤمنون يشفعون فيمن شاءوا أن يشفعوا فيه من بعد إذن الله لمن شاء ويرضىٰ، يشفعون ويخرج بشفاعتهم بعض من شفعوا فيه من النار.

وكذلك الملائكة تشفع.

كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة من أن النبي ﷺ روىٰ عن ربه أنه يقول يوم القيامة: «**شفع الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقيت رحمة أرحم الراحمين، فيُخرج من النار قوما لم يعلموا خيرا قط، فيلقيهم في ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السيل**».[1]

فهٰذه الشفاعات خالف فيها الخوارج، وخالف فيها المعتزلة، ولم يثبتوا تلك الشفاعات؛ لا للمؤمنين، ولا للملائكة، ولا الشفاعة في أهل النار أن يخرجوا منها؛ يعني لأهل الكبائر أن يخرجوا من النار.

كذلك نبينا ﷺ أختص بشفاعة لكافر، وهو أبو طالب فإنّ النبي ﷺ يشفع له حتىٰ يُخفَّف عنه من العذاب.

الجنة والنار، يعتقد أهل السنة والجماعة أنهما مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان، ولا تبيدان، الجنة حق والنار حق، الجنة دار لأولياء الله، والنار دار لأعدائه. يؤتىٰ بالموت يوم القيامة علىٰ صورة كبش، فيُذبح علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت. فالجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان، وينصّ أهل السنة والجماعة علىٰ ذلك مخالفة لبعض أهل الاعتزال والتجهم الذين يقولون: إن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنىٰ، وإن الجنة والنار

---

(١) «صحيح البخاري» (ح٧٤٣٩)، «صحيح مسلم» (ح١٨٣).

تفنيان، أو إنّهما اليوم ليستا بمخلوقتين. وأهل السنة يثبتون تجدّد النعيم وتجدّد العذاب في النار، كما أن النعيم يتجدد علىٰ أهل الجنة، والمسألة فيها مزيد تفصيل ليس هٰذا بمحل بيانه.

هٰذا الفصل هو كالشرح لركن الإيمان الخامس؛ ألاَ وهو الإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بما بعد الموت؛ من فتنة القبر، إلىٰ ما يحصل في الحياة البرزخية، والنفخ في الصور، وما يحصل في عرصات القيامة، وما هو بعد ذلك من حال الجنة والنار والشفاعات إلىٰ آخره، هٰذا كله يدخل في الإيمان باليوم الآخر.

فالمؤلف لم يرتب ترتيبا علىٰ أركان الإيمان، فقدَّم الكلام علىٰ القدر، وأخَّر الكلام علىٰ الإيمان باليوم الآخر، وسيأتي الكلام علىٰ الإيمان بالنبي ﷺ، وهٰذا أمر سهل ميسور، وحبَّذا عند شرح العقائد أن تُرتَّب علىٰ ما جاء في حديث جبريل عليه السلام؛ من ذِكر الإيمان بالله، ثم الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، حتىٰ يستقيم فهمها وترتيبها.

[المتن]

ومحمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وسَيِّدُ المرسلينَ، لا يصحُّ إيمانُ عبْدٍ حَتّىٰ يُؤمِنَ برسالته، ويشهَدَ بنبوتِه، ولا يُقْضَىٰ بيْنَ النَّاسِ في القيامَةِ، إلاَّ بشفاعَتِهِ، ولاَ يَدْخُلُ الجنّةَ أُمّةٌ إلاّ بعْدَ دُخولِ أُمّتِه.

صاحِبُ لِواءِ الحمْدِ والمقامِ المحمودِ والحوْضِ المورودِ، وهوَ إمامُ النَّبِيّينَ، وخَطِيبُهم، وصاحِبُ شفاعتِهم.

أمّتُه خيْرُ الأممِ، وأصحابُه خيْرُ أصحابِ الأنبياءِ عليهم السّلامُ.

وأفضلُ أمّتِه أبو بكْرٍ الصِّديقُ، ثُم عمرُ الفاروقُ، ثُم عثمانُ ذو النُّورَينِ، ثُم عَليّ المُرْتَضَىٰ ﷺ أَجْمَعِينَ. لِمَا رَوىٰ عبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضِي الله عنهما قال: كنَّا نقولُ والنبيُّ ﷺ حيٌّ: [أَفْضَلُ هٰذه الأمّة بعْدَ نبيِّها] أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليّ فيبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فلا يُنْكرُه.(١)

وصحَّتِ الرِّوايَةُ عنْ عليّ ﷺ أنَّهُ قالَ: خَيْرُ هٰذه الأمةِ بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثم عمرُ ولو شئْتُ لسميْتُ

(١) «صحيح البخاري» (ح٣٦٥٥).

الثَّالثَ.

ورُوِىَ أبو الدّرْدَاءِ عَنِ النبيِّ ﷺ أنّه قال: «مَا طَلَعَتْ الشَمْسُ وَلاَ غَرُبَتْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ عَلَىٰ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ».(١)

وَهُو أَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بالخِلافَةِ بعْدَ النبيِّ ﷺ لفَضْلِهِ وسَابِقَتِه، وتَقْدِيمِ النبيِّ ﷺ له في الصّلاةِ علىٰ جميع الصّحابةِ ﷺ، وإجماعِ الصّحابة علىٰ تقْديمِه ومُبايَعَتِه، ولم يكنِ اللهُ ليَجْمَعَهم علىٰ ضَلالةٍ.

ثم مِنْ بعده عمرُ ﷺ لفضْلِه وعَهْدِ أَبي بكرٍ إليه.

ثم عثمانُ ﷺ لتقْديم أهلِ الشُّورىٰ له.

ثم عليٌّ ﷺ لفَضلِه، وإجماعِ أهلِ عصْرِه عليه.

وهؤلاءِ الخلفاءُ الرّاشدون المهديّون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «عَلَيْكُمْ بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينِ مِنْ بَعْدِي، عَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ».(٢)

وقال ﷺ: «الخِلاَفَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنَةً»(٣) فكان آخرُها خلافةَ عليٍّ ﷺ.

ونَشْهَدُ للعشَرةِ بالجنّةِ، كما شَهِدَ لهم النبي ﷺ فقال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وعُمَرُ فِي الجنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجنَّةِ، وعَلِيٌّ في الجنّةِ، وطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وسَعْدٌ فِي الجنَّةِ، وسَعِيدٌ في الجنّةِ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ عوفٍ في الجنّةِ، وأبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ».(٤)

وكُلُّ مَنْ شَهِدَ له النبيُّ ﷺ بالجنَّةِ شَهِدْنَا له بها، كقوله: «الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(٥)، وقولِه لثابتِ بنِ قيْسٍ: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».(٦)

---

(١) قال مخرجه (مجموعة الفتاوىٰ ط الجيل): قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤٦، ٤٧): رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن يحيىٰ التيمي وهو كذاب.

(٢) «جامع الترمذي» (ح٢٦٧٦) قال: حسن صحيح، «سنن أبي داود» (ح٤٦٠٧)، «سنن ابن ماجه» (ح٤٢، ٤٣)، قال الألباني: صحيح.

(٣) «سنن أبي داود» (ح٤٦٤٦)، «جامع الترمذي» (ح٢٢٢٦)، وقال: وهٰذا حديث حسن. قال الألباني: صحيح.

(٤) «سنن أبي داود» (ح٤٦٥٠، ٤٦٤٩)، «جامع الترمذي» (ح٣٧٤٧، ٣٧٤٨)، «سنن ابن ماجه» (ح١٣٣)، قال الألباني: صحيح.

(٥) «جامع الترمذي» (ح٣٧٦٨). قال الألباني: صحيح.

(٦) «صحيح البخاري» (ح٣٦١٣)، «صحيح مسلم» (ح١١٩).

ولا نَجْزِمُ لأحدٍ مِنْ أهلِ القِبْلَةِ بجنَّةٍ ولا نَارٍ إلاَّ مَنْ جَزَمَ لَهُ الرّسول ﷺ، لَكِنَّا نَرجو للمُحْسِنِ ونَخَافُ علىٰ المُسيءِ.

[الشرح]

ذكر في هٰذه الجمل الكلام علىٰ معتقد أهل السنة و الجماعة في صحابة رسول الله ﷺ، فهم يعتقدون أن خير هٰذه الأمة بعد نبيها ﷺ هم صحابة رسول الله ﷺ، كما جاء ذلك في غير ما حديث أن النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قال: «**خير هٰذه الأمة قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[1] وهٰذا عام لكل الصحابة، فكل صحابي يَثبت له هٰذا الفضل، فجنس الصحابة أفضل من جنس من بعدهم.

والصحابة متفاوتون في الفضل، فأفضل الصحابة وأعلاهم مقاما أبو بكر الصديق ﷺ، ويليه عمر بن الخطاب ﷺ، ثم عثمان بن عفان ﷺ، ثم عليّ ﷺ، وهؤلاء هم الخلفاء الأربعة الراشدون، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة؛ ترتيبهم في الفضل عند أهل السنة كترتيبهم في الخلافة.

وكان هناك خلاف في القرن الأول هل يقدم علي علىٰ عثمان في الفضل أم لا يقدم؟ مع إقرار الجميع بأن عثمان أولىٰ بالخلافة من علي، لكن هل علي أفضل أم عثمان؟ فكان من أهل الكوفة من أهل السنة من يقول: إن عليا أفضل، وبعضهم وهم الجمهور والعامة يقولون: إن عثمان أفضل، وهٰذا هو الذي استقرت عليه عقائد أهل السنة والجماعة من الأخذ بقول عامة علمائهم، بل الأخذ بقول علي وقول الصحابة؛ من أن ترتيب الصحابة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، فعثمان مقدّم علىٰ علي ﷺ.

وأولئك كانوا يسمّون في الزمن الأول الشيعة؛ فمن فضّل عليّا علىٰ عثمان نُسِب إلىٰ التشيّع، وهو غير الرّفض الموجود بعد ذلك الذي من علاماته سبّ الشيخين ولعنهما والتبري من عثمان ومعاوية رضي الله عن جميع الصحابة والذين يقولون: إنّه لم يصح إيمان إلا نَفَرٌ من الصحابة فقد ارتد الأكثرون إلا طائفة.

الصحابة طبقاتهم في الفضل من حيث الإجمال: أنّ المهاجرين أفضل الصحابة، ويليهم الأنصار،

---

(١) «صحيح البخاري» (ح٣٦٥١). عن ابن مسعود. «صحيح مسلم» (ح٢٥٣٣). عن عمران بن حصين.

ثم من شهد بيعة الرضوان، ثم من أسلم قبل الفتح – فتح مكة-، ثم من أسلم بعد ذلك، قال جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾[الحديد]، والفتح المراد به هنا صلح الحديبية، فلا يستوي من بايع بيعة الرضوان ممن أسلم بعد ذلك، فهٰذه طبقاتهم في الفضل إجمالا.

ونقول أيضا: إن جنس الصحابة أفضل من جنس من جاء بعدهم؛ لكن قد يكون في أفراد من بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة؛ لكنه من حيث الجنس والعموم فالصحابة أفضل هٰذه الأمة، لكن قد يكون فيمن بعدهم أفضل من بعض الصحابة في مقامات الإيمان والجهاد والإحسان كما قرر ذلك أهل العلم، فالكلام علىٰ الجنس من حيث أن الصحابة هم أفضل.

أفضل المهاجرين وأفضل الصحابة؛ بل وأفضل هٰذه الأمة العشرة المبشرون بالجنة؛ وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمٰن بن عوف ﷺ. فهؤلاء العشرة هم أفضل المهاجرين، وهم أفضل الصحابة أيضا، وهم أفضل هٰذه الأمة.

قال: (**لا نشهد لمعين بجنة ولا نار**).

قبل هٰذا نذكر حكم من سبّ الصحابة؛ سب الصحابة ينقسم إلىٰ أقسام:

الأول: إن سبّ جميعهم، أو حكم علىٰ أكثرهم بالكفر والردة إلا نفر، فإن هٰذا كفر؛ لأنه ردّ شهادة الله جل وعلا بقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، قد ثبت أن الذين بايعوا تحت الشجرة كانوا ألفا وأربعمائة، وفي بعض الروايات أنه كانوا ألفا وخمسمائة.

القسم الثاني: أن يسبّ بعضا منهم، فهٰذا فيه تفصيل، إن سبّ بعضا منهم من جهة اعتقاد؛ يعني اعتقد فيهم أنهم أخطئوا، وأنهم فرطوا، وأنهم أصابهم ما أصابهم من جهة اعتقاد، كما يعتقد الخوارج، فإن هٰذا من كبائر الذنوب، ولا يعد مُخرجا من الملة، وإن كان سبّ بعضهم من جهة الغيض تغيُّضا عليهم، وحقدا عليهم، فإن هٰذا كفر وخروج من الملة، قال أهل العلم: لأن الله جل وعلا قال في

وصف صحابة رسول الله ﷺ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩] فمن كان في قلبه غيض علىٰ صحابة رسول الله ﷺ فيُوصف بما وصفه الله جل وعلا به من أنه من الكفار.

وأما أمهات المؤمنين فحكم سبِّهم حكم سب الصحابة.

وأما قذف أمهات المؤمنين أو واحدة منهن، عائشة أو غيرها، يعني بأنها لم تكن عفيفة فهو كفر بالله، من قذف امرأة من نساء رسول الله ﷺ فقد كفر؛ لأنه ردّ قول الله جل وعلا، وما حكم به لنبيه ﷺ، وهٰذا يختلف عن حال من قذف في عهده ﷺ؛ لأن أولئك نزلت الآيات بعد شأنهم في حادثة الإفك المشهورة، وأما بعد ذلك لمّا نزلت الآيات في التبرئة وبعد نزول قوله تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾[النور]، فجعل ذلك شرط الإيمان بعد ذلك، من قذف امرأة من نساء رسول الله ﷺ فإنه يكفر بذلك، كما قرّره أهل العلم.

وفي المسألة مباحث أخرىٰ يطلبها المستزيد من مظانه.

مما ذكره المؤلف أننا لا نشهد لمعين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، وقد شهد رسول الله ﷺ لأناس غير العشرة المبشرين؛ فشهد للحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وشهد لعكاشة، وشهد لجماعة، فمن شهد له رسول الله ﷺ شهدنا له بالجنة، وأما غيرهم لا ننزل أحدا جنة ولا نارا.

لكن قال بعض أهل العلم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية –ومثل غيره من المتقدمين– يُلحق بذلك من شهدت له الأمة بأجمعها بأنه من أهل الجنة واستفاض عنه أنه من أئمة الإسلام، فشهدت له الأمة، فإنه يلحق بذلك ولا بأس بالشهادة له، وهٰذا أخذا من قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لما مُر عليه بجنازة: «**هٰذه أثنيتم عليها خيرا وجبت لها الجنة، وهٰذه أثنيتم عليها شرًّا فوجبت لها النَّار، أنتم شهداء الله في أرضه**».[1]

(١) «صحيح البخاري» (ح١٣٦٧)، «صحيح مسلم» (ح٩٤٩).

[المتن]

ولاَ نُكفِّرُ أحدًا مِنْ أهلِ القِبلةِ بذَنْبٍ، ولاَ نُخْرِجُهُ عَنِ الإسلامِ بِعَمَلٍ.

ونَرَىٰ الحَجَّ والجِهَادَ ماضيًا[1] مع طاعَةِ كلِّ إمامٍ بَرًّا كان أو فَاجِرًا، وصلاةُ الجمعةِ خلفَهم جائزةٌ.

قال أَنَسٌ: قال النبيُّ ﷺ: «ثَلاَثٌ مِنْ أَصْلِ الإيمَانِ: الكَفّ عن مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَلاَ تُكَفِّرْهُ بِذَنْبٍ وَلاَ تُخْرِجْهُ مِنَ الإِسْلاَمِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله عزّ وجلّ حتّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمّتِي الدّجّالَ[2] لاَ يُبْطِلُه جَوْرُ جَائِرٍ وَلاَ عَدْلُ عَادِلٍ، وَالإِيمَانُ بالأَقْدَارِ»[3] رواه أبو داود.

[الشرح]

مما تميّز به أهل السنة أنهم لا يكفِّرون أحدا بذنب ما لم يستحله، والاستحلال اعتقاد، وليس فعل المعصية أو الإقرار عليها استحلالا؛ فمن فعل المعصية أو أقرّ من يفعل المعصية من الكبائر أو ما دونها، فإنّ هٰذا كبيرة من كبائر الذنوب، ومحرم من المحرمات بحسب حال تلك المعصية، ولا يُعَدُّ استحلالا، فلا يُكفّر أهل السنة والجماعة بذنب ما لم يستحله صاحبه، واستحلاله أن يعتقد أنه حلال، أن يعتقد أن هٰذا الأمر الذي حرّمه الله جل وعلا في صورته التي حرمها الله جل وعلا أنه حلال؛ لأنه يكون ممن ردّ حكم الله جل وعلا فأحل الحرام، فلا يكفّر أهل السنة أحدا بذنب إلا إذا استحله؛ يعني اعتقد بقلبه أنه حلال.

من مميزات أهل السنة والجماعة أنهم يرون الحج والجهاد ماضيين مع أئمة المسلمين بارّين كانوا أو فاجرين، فطاعة أئمة المسلمين الذين حصلت إمامتهم، إمّا باختيار من أهل الحلّ والعقد، أو غلبة بسيف وسنان، كلهم تنعقد لهم الإمامة الشرعية، ويبقون لهم حق الطاعة في المعروف، والجهاد معهم وعدم عصيانهم؛ لأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله، فالخروج عليهم، أو عدم اعتقاد وجوب طاعتهم، هٰذا من اعتقادات الخوارج والمعتزلة.

---

(١) في نسخة: ماضيين.

(٢) انتهىٰ الوجه الأول من الشريط الثالث.

(٣) «سنن أبي داود» (ح٢٥٣١). قال الألباني: ضعيف.

فإنّ المعتزلة ضمّنوا أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا ذلك مضمّن للخروج علىٰ الأئمة؛ أئمة المسلمين، إذا رأوا منهم ظلما، أو رأوا منهم كثرة عمل للمعاصي، أو كثرة ممارسة للكبائر والمنكرات.

والخوارج خرجوا بها علىٰ هٰذا الأصل، وكذلك المعتزلة يرون الخروج ويعتقدونه دينا؛ لأجل هٰذا الأصل.

وكذلك جماعة كبيرة من الأشاعرة يرون الخروج جائز للجَوْرِ ولانتشار الكبائر ونحو ذلك.

أما أهل السنة والجماعة فيرون أنه ما دام أنّ اسم الإسلام باق علىٰ الإمام فإنه تجب طاعته في المعروف، ولا يجوز الخروج عنه، وهٰذا مما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم؛ بل كان أئمة أهل الحديث، وأئمة أهل السنة يمتحنون الناس في زمن الفتن؛ في أواخر القرن الثالث والرابع يمتحنون الناس بهٰذا الأمر هل يرون الطاعة أم لا يرونها؟ بل قال بعض الأئمة: علامة أهل السنة الدعاء للأئمة -يعني للسّلاطين-، وعلامة أهل البدعة الوقيعة في السلاطين. وهٰذا ظاهر لمن تأمّل هدي أهل السنة والجماعة، وتأمل أصولهم، وارجعوا في هٰذا الأمر إلىٰ الإبانة لابن بطة، وارجعوا إلىٰ كتاب البربهاري[1] وهو من أئمة أهل السنة والجماعة فقد فصّل في ذلك تفصيلا بيّنا لأجل ما ظهر في زمنه من كثرة المخالفين في هٰذا الأصل العظيم.

فأهل السنة يرون أن الوِلاية الشرعية تحصل عن أحد طريقين:

- إما باختيار من أهل الحل والعقد.
- وإما بغلبة، فمن غلب ودعا الناس إلىٰ بيعته فتجب بيعته.

ومن أُختير من أهل الحل والعقد ودعا أهل الحل والعقد إلىٰ بيعته وجبت بيعته.

وقد حصل هٰذا في الإسلام وهٰذا، فبيعة الخلفاء الراشدين كانت عن اختيار، وبيعة الولاة وأمراء المؤمنين من بني أمية وبني العباس وما بعدهم إلىٰ زمننا هٰذا حصلت بالغلبة، لا بالاختيار.

وكل من الحالين أمر شرعي، تلزم عنه وتتفرّع عنه الأحكام الشرعية من الطاعة وعدم جواز

(١) الحسن بن علي بن خلف البربهاري المتوفي سنة (٣٢٩هـ). وكتابه «شرح السنة».

الخروج، ومن المحبة والنصرة فيما أوجب الله جل وعلا فيه النصرة وأمر فيه، وهٰذا مما يتميز به أهل السنة عن الخوارج والمبتدعة.

وفي هٰذا الزمان كثرت المخالفة في هٰذا الأصل العظيم، والناجي من نجاه الله جل وعلا، فكثير ممن يعتني بمنهج أهل السنة والجماعة، لا يعتني بمنهجهم في الإمامة، وأهل السنة والجماعة عقائدهم يجب أخذها جميعا دون تفريق بين باب وباب، لأننا إذا فرقنا نكون علىٰ شيء من الهوىٰ.

فهٰذه الأبواب تسمىٰ عند أهل العلم أبواب الاعتقاد في الإمامة، لأنهم خالفوا بذلك الخوارج والمعتزلة وطوائف من الأشاعرة.

[المتن]

ومِنَ السُّنّةِ تَوَلِّي أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ومحبَّتُهُم، وذِكْرُ محاسنِهم، والتَّرَحُّمُ عليهم، والاستغفارُ لهم، والكَفُّ عن ذِكْرِ مساوِئِهم، ومَا شَجَرَ بَيْنَهُم، واعتِقادُ فَضْلِهِم، ومعرِفةُ سابِقَتِهم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الحشر:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[الفتح:٢٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «لا تَسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَبًا ما بَلغَ مُدّ أحدِهم ولا نَصيفَه».(١)

ومِنَ السُّنّةِ التَّرَضِّي عَنْ أَزْواجِ رسولِ اللهِ ﷺ، أُمَّهاتِ المؤمنينَ المُطهَّراتِ، المُبَرَّءاتِ مِنْ كلِّ سوءٍ، أفضلُهنّ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ وعائشةُ الصّديقةُ بنتُ الصّديقِ التي بَرّأَهَا اللهُ فِي كتابِهِ، زوْجُ النبيِّ ﷺ في الدنيا والآخرةِ، فمَنْ قَذَفَهَا بما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ باللهِ العظيم.

ومعاويةُ خالُ المؤمنينَ، وكاتِبُ وحْيِ اللهِ، أحدُ خلفاءِ المسلمينَ ﷺ.

ومِنَ السُّنَّةِ السَّمْعُ والطاعَةُ لأئمةِ المسلمينَ وأُمَرَاءِ المؤمنينَ بَرِّهِمْ وفَاجِرِهِمْ، ما لم يأمروا

(١) «صحيح البخاري» (ح٣٦٧٣)، «صحيح مسلم» (ح٢٥٤١).

بمعصيةِ اللهِ، فإنَّه لا طاعةَ لأحدٍ في معصيةِ اللهِ.

ومَنْ وَلِيَ الخلافةَ، واجتمعَ عليه النّاسُ ورَضُوا بِهِ، أوْ غلبَهُم بسيْفِهِ حتَىٰ صَارَ الخليفة، وسُمِّيَ أميرَ المؤمنينَ، وجبَتْ طاعتُهُ، وحَرُمَتْ مُخَالفَتُهُ والخُروجُ عَلَيهِ وشَقُّ عصَا المسلمينَ.

[الشرح]

هٰذه المسائل من محبة الصحابة وتوليهم وعدم سبّهم، والكلام علىٰ أمهات المؤمنين، وحقوق الإمام المسلم مرّ معنا تفصيله، وقد سبقتُ موضعه اللائق به، وبيِّن لك كلامه الأخير ما ذكرته سابقا من معتقدات أهل السنة؛ أنه تحصل الإمامة الشرعية بأحد الأمرين:

إما باجتماع الناس عليه، ورضاهم به.

أو أن يغلبهم بسيفه، ولو لم يرض الناس، يغلبهم بسيفه، ويدعو الناس لمبايعته، فيصبح خليفة، أو يصبح أميرا للمؤمنين، أو يصبح إماما، أو يصبح حاكما، فتجب طاعته، ويحرم الخروج عليه، وشق عصا المسلمين عنه.

فالولايات الشرعية قسمان:

- ولاية اختيارية
- وولاية تغلّبية.

وقد بيّن ذلك أتم بيان الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بما ذكر من اعتقاد أئمة أهل السنة.

[المتن]

ومِنَ السُّنّةِ هِجْرانُ أهْلِ البِدعِ ومُبَايَنَتُهُم وتَرْكُ الجِدَالِ والخُصُومَاتِ في الدّينِ، وتَرْكُ النَّظَرِ في كُتُبِ المبتدعةِ، والإصْغاءُ إلىٰ كلامِهِم، وكلُّ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بِدْعَةٌ.

وكلُّ مُتَسَمٍّ بِغَيْرِ الإسلامِ والسُّنّةِ مبتدعٌ، كالرافضةِ، والجهميةِ، والخوارِجِ، والقَدَريّةِ، والمرجئةِ، والمعتزلةِ، والكَرَّامية، والكُلاّبيّة، ونَظَرَائِهم، فَهٰذه فِرَقُ الضَّلالِ وطَوَائفُ البِدَعِ أعاذَنَا اللهُ منْها.

[الشرح]

قال: (مِنَ السُّنّةِ هِجْرانُ أهْلِ البِدعِ ومُبَايَنَتُهُم) وهٰذا هو الذي كان أئمة أهل السنة يوصون به من

عدم غشيان المبتدعة في مجالسهم ولا مخالطتهم؛ بل هجرانهم بالكلام، وهجرانهم بالأبدان، حتىٰ تُخمد بدعهم، وحتىٰ لا ينتشر شرّهم، فالدخول مع المبتدعة ومساكنتهم، سواء كانت البدع صغيرة أو كبيرة، والسكوت عن ذلك، وعدم هِجرانهم، والاستئناس لهم، وعدم رفع الرأس بحالهم مع بدعهم، هٰذا من حال أهل الضلال، إذْ أهل السنة تميّزوا بأنهم لهم الموقف الأعظم الذي فيه القوة والشدة مع أهل البدع مهما كانت البدع، فيهجرون أهل البدع.

هجر المبتدع من أصول الإسلام، بل من أصول أهل السنة، لأن جنس البدع أعظم من الكبائر، فالبدعة أشد وأعظم من الكبائر، وذلك من خمس جهات، نذكر بعضا منها:

الأولىٰ أن البدعة من باب الشبهات، والكبائر من باب الشهوات، وباب الشبهات يعسر التوبة منه، بخلاف أبواب الشهوات، ولهٰذا جاء في الأحاديث -من حديث معاوية وغيره- أن النبي ﷺ قال في وصف أهل البدع: «**تتجارىٰ بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَبُ بصاحبه لا يبقَىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»،[1] وقد بيّن عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إن صحّ الحديث وقد صحّحه جمع من العلماء أنه قال: «**أبىٰ الله أن يقبل توبة صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته**»،[2] وقد جاء في ذلك أيضا بعض الأحاديث، التي منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، ومنها ما رُوي أنه قال: «**من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام**».[3]

ونلاحظ اليوم أنه في هٰذه المسألة فيه تَرْكٌ لهٰذا الأصل، فكثير من الناس يُخالط المبتدعة ولا يهجرهم بحجج شتىٰ؛ إمَّا دنيوية، وإما تارة تكون دعوية أو دينية، وهٰذا مما ينبغي التنبه له والتحذير منه؛ لأنّ هِجران أهل البدع متعيّن، فلا يجوز مخالطتهم بدعوىٰ أن ذلك للدعوة، ولا مخالطتهم بدعوىٰ أن ذلك للدنيا، ولا مخالطتهم وعدم الإنكار عليهم بدعوىٰ أن هٰذا فيه مصلحة كذا وكذا، إلا لمن أراد أن ينقلهم لما هو أفضل لما هم فيه، وأن ينكر عليهم ويغيّر عليهم.

---

(١) «**مسند أحمد**» (يتحقيق أحمد شاكر حمزة الزين)، (ح١٦٨٧٦)، «**سنن أبي داود**» (ح٤٥٩٧)، قال الألباني: حسن.

(٢) «**سنن ابن ماجه**» (ح٥٠)، قال الألباني: ضعيف. وفيه بدل (يقبل توبة): (يقبل عمل).

(٣) أورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (ح١٨٦٢).

الاهتمام بالسنة والرّد علىٰ المبتدعة هٰذا -كما تعلمون- ظاهر في حال أئمة أهل الإسلام، فقد كانت حياتهم في الرد علىٰ المبتدعة، ولم يشغلوا أنفسهم بالرد علىٰ الكفار الأصليين من اليهود والنصارىٰ، فإذا رأيت كلام الإمام أحمد، وسفيان، وحمّاد بن زيد، أو حمّاد بن سلمة، ونعيم بن حمّاد وهم أئمة أهل السنة، والأوزاعي، وإسحاق، وعلي بن المديني، ونحوهم من أئمة أهل السنة والإسلام، وجدتَ أن جُلّ كلامهم وجهادهم إنما هو في الرد علىٰ المبتدعة وفي نقض أصول المبتدعة، وإن كانوا باقين علىٰ أصل الإسلام، ولم يشغلوا أنفسهم بالرد علىٰ اليهود والنصارىٰ وسائر ملل أهل الكفر، وذلك لأنّ شر المبتدع لا يظهر علىٰ أهل الإسلام، ولا يؤمَن علىٰ أهل الإسلام، أما الكافر الأصلي من اليهود والنصارىٰ فشرُّه وضرره بيّن وواضح لكل مسلم؛ لأن الله جل وعلا بيّن ذلك في كتابه، وهم ظاهرون، أما أهل البدع فالشر منهم كثير، ولهٰذا لا يَحسن أن يُنسب لأهل السنة والجماعة أنهم مفرّطون في الرّد علىٰ اليهود والنصارىٰ ومنشغلون بالرد علىٰ أهل الإسلام، كما قاله بعض العقلانيين من المعتزلة وغيرهم: إنّ أهل السنة انشغلوا بالرد علىٰ أهل الإسلام، وتركوا الرد علىٰ الكفار من اليهود والنصارىٰ، وسائر أهل الملل الزائفة.

وهٰذا سببه هو ما بينته لك أن شر البدع أعظم؛ لأن هؤلاء يدخلون علىٰ المسلمين باسم الإسلام، وأما أولئك ففي القلب منهم نُفرة من اليهود والنصارىٰ، فهدي أئمة الإسلام كان ظاهرا في الرد علىٰ المبتدعة، والرد علىٰ أهل الأهواء، ولم يُعرف عنهم كبير عمل في الرد علىٰ اليهود والنصارىٰ، وليس معنىٰ ذلك أن المؤمنين من أهل السنة لا ينشغلوا بالرد علىٰ اليهود والنصارىٰ، لا، ولكن نذكر ما تميز به أئمة أهل السنة وإلا فالرد علىٰ كل معادٍ للإسلام من الكفار الأصليين، ومن أهل البدع متعيِّن وفرض، لكن من انشغل بالرد علىٰ المبتدعة لا يقال له: لِم تركت اليهود والنصارىٰ لم ترد عليهم وانشغلت بهؤلاء؟ نقول هٰذا هدي الأئمة الأولين، وكلٌّ يرد في مجاله؛ منا من يرد علىٰ اليهود والنصارىٰ، ومنا من يرد علىٰ المبتدعة، ونحن جميعا نكون حامين لبيضة الإسلام من تلبيسات الملبِّسين، وبدع المبتدعين، وشرك المشركين، وضلالات الكفار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم.

[المتن]

وأمَّا بِالنِّسْبَةِ إلىٰ إمامٍ في فُروعِ الدِّينِ كالطَّوَائِفِ الأرْبَعِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ، فَإنَّ الاخْتِلافَ في الفُروعِ رَحْمةٌ، وَالْمختَلِفونَ فِيهِ مَحْمُودُونَ فِي اخْتلافِهِمْ، مُثَابُونَ في اجْتِهَادِهِمْ وَاخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَاتِّفَاقُهُمْ حُجَّةٌ قاطِعَةٌ.

نَسْأَلُ الله أَنْ يَعْصِمَنا مِنَ الْبِدَعِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُحْيينَا عَلَىٰ الإسْلامِ وَالسُّنةِ، وَيَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعْ رَسُولَ الله ﷺ في الحَياةِ، وَيَحْشُرَنَا في زُمْرَتِهِ بَعْدَ المَمَاتِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. آمِينَ.

وَهٰذا آخِرُ المُعْتَقَدِ.

وَالحَمْدُ لله وَحدهُ، وَصلَّىٰ الله علىٰ سَيِّدنَا مُحمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

[الشرح]

اختلف الأئمة في مسائل الفقه، قال الموفق بن قدامة: (وَاخْتِلاَفُهُمْ رَحْمَةٌ) وهٰذا صحيح باعتبار، وغير صحيح باعتبار آخر:

- فاختلافهم رحمة صحيح باعتبار أنهم بذلوا وسعهم لإرشاد الناس، وحصل مع بذل الوسع والاجتهاد الاختلاف، فيقال: اختلافهم رحمة؛ يعني سبب الاختلاف من أنه بذل الاجتهاد والجهد في بيان المسائل ونفع الناس رحمة، ولو حصل الاختلاف، فإن كان المقصود هٰذا المعنىٰ فهٰذا صحيح.
- وأما إن كان المقصود أن اختلافهم علىٰ هٰذه الأنحاء وهٰذه الأقوال المتباينة أنه رحمة رُحمت بها الأمة، فهٰذا غير صحيح؛ لأن هٰذه الأقوال المختلفة منها ما هو مخالف للسنة، ومنها ما قد فرّق الأمة، فليس برحمة كما هو ظاهر.

فإذن قوله: (اختلافهم في الدين رحمة) يُمكن أن يُفسر بتفسير صحيح، ويمكن أن يفسر بتفسير خاطئ، فإن أريد به التفسير الصحيح صُحّح، وإن أريد به التفسير الباطل أو الخطأ خُطِّئ.

هٰذا الاختلاف ما موقفنا منه؟

الواجب أولا أن يترحّم علىٰ جميع العلماء، وأن يُعذروا في اختلافهم، وما أخطؤوا فيه من اجتهادهم المخالف للسنة لا يتَّبعون فيه، فإن العالم لا يتبع بزلته، ولا يُتبع علىٰ ما أخطأ من قوله أو في

فعله، ويُحب الجميع، ونعتقد أن المجتهد منهم مأجور بأجر واحد إن أخطأ، وبأجرين إن أصاب، وأما من تبعهم في أقوالهم، فإن كان ذلك الإتباع عن تعصب بعد معرفة الدليل فهٰذا مذموم وباطل، وهو الذي أقام السلف الصَّيْحات علىٰ من سار علىٰ هٰذا النحو؛ يقدم أقوال الرجال علىٰ ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، وأما إن كان إتباعه لا عن تعصب لكن عن اقتناع باستدلالاتهم وبأصولهم، فإن ذلك لا يلام ولا يعاب علىٰ صاحبه.

ثم دعا المؤلف بدعوة عظيمة، ونحن ندعوا بها، ويجب دائما أن نحرص علىٰ مثل هٰذه الدعوات؛ لأنّ القلب يتقلب، وهٰذا الزمن زمن أهواء وفتن، لا يدري المرء هل يثبت علىٰ دينه وعلىٰ السنة حتىٰ يتوفاه الله، أم تعصف به الأهواء والفتن.

قال: (نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنا مِنَ الْبِدَعِ)، وأن يمن علينا بلزوم السنة، ونحن نسأله جل وعلا كذلك أن يمن علينا بلزوم السنة، والمحافظة عليها، وبنصرة أهلها، واعتقاد أئمة أهل السنة والجماعة وسلف هٰذه الأمة، وأن يباعد بيننا وبين الأهواء والفتن والبدع، وبين أصحابها، وأن يجعلنا قائمين بالحق ثابتين عليه، صادعين بالحق، رادّين علىٰ الباطل، علىٰ كل من جاء بباطل.

ونسأله جل وعلا أن يجعلنا من الهداة المهتدين، السائرين علىٰ هدي السلف الصالح، الآخذين بوصية النبي ﷺ حين قال: «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ».[1]

(هٰذا آخِرُ الْمُعْتَقَدِ)، وهٰذه العقيدة المختصَرة مع ما سمعتم من الشرح المقتضب جدًّا علىٰ هٰذه المسائل، لكن أحسبه أنه شمل أصول الاعتقاد، وينبغي عليكم -وقد سرّني حضوركم بمثل هٰذا الجمع، في هٰذا الوقت، مما يدل علىٰ رغبة في دراسة الاعتقاد- أن تتموا دراسة العقيدة، وأن تتوسعوا في ذلك، حتىٰ تعرفوا تفاصيل المعتقد، فإنما يشرف المرء منا بأن يكون في دراسته للعقيدة؛ أن يكون مقبلا متوسعا فيها، لأنّ الناس بحاجة إلىٰ توضيح العقائد، واليوم المعتني بذلك في صفوف الشباب؛ بل وفي صفوف طلبة العلم قليل، والناس اليوم في العالم كله، وخاصة في العالم الإسلامي؛ بل وعندنا

(١) تم تخريجه في الصفحة (١٠).

في كثير من البقاع بحاجة إلىٰ تبيين أصول الاعتقاد والتوحيد وما يضادّه، لأن هٰذا هو أصل الأصول، وإذا استقام الأصل استقام ما بعده.

❀❀◈❀❀

الأجوبة علىٰ الأسئلة[1]: فيه أسئلة؟

ج١/ ليس فيه زيادة، صحيح، معنىٰ قول (ليس فيه زيادة) بمعنىٰ لم يُزد فيه علىٰ كلام الله شيء، فكلُّه كلام الله، ليس فيه ولا حرف زيادة، يعني من عند البشر، بل كله من كلام الله جل وعلا، لكن القرآن نزل بلسان عربي، وعلىٰ وَفْق لغة العرب وسَنَنِها في كلامهم، وهٰذا يعني أنه تجري فيه القواعد العربية، فكونه يكون فيه لفظ زائد –ما نقول: زائد– نقول صلة تأدبا مع القرآن، لكن هل الزيادة هنا بمعنىٰ أنه ماله فائدة؟ لا، أعظم فائدة هي التأكيد مثل قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[آل عمران:١٥٩]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ معناها فبرحمة من الله لنت لهم، فـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ليست نافية، المعنىٰ المراد فبرحمة من الله لنت لهم، فهنا أتت (مَا) صلة، ما معنىٰ كونها صلة؟ أنها في مقام تكرير الجملة، كأنّ الله جل وعلا قال: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. كذلك قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾[2] يعني فبنقضهم ميثاقهم وهكذا، وهٰذا شيء معروف في لغة العرب. نعم.

ج٢/ التشبيه هنا في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[الشورىٰ:١١] يورد إشكال علىٰ من جعل الكاف بمعنىٰ (مِثْل)، وهو يقول: إذا قلنا: إن المعنىٰ الكاف بمعنىٰ (مِثْل) فتكون الآية (ليس مِثْلَ مِثْلِهِ شيء)، يقول: يقتضي هٰذا إثبات المثل؛ لأنه يكون في الآية نفي لمثل المثل، ونفي مثل المثل لا يقتضي نفي المثيل.

ونقول: هٰذا يصحُّ، لكن في غير لسان العرب، أمّا العربي إذا أراد أن يبالغ في نفي المثل، نفىٰ وجود مِثْل المثل، فإذا نُفي وجود مِثْل المثل، فنفي وجود المثيل عنده من باب أولىٰ، فالعرب من لغتها أنها

(١) الأسئلة غير مسموعة من الشريط ولذلك دُوّنت إلا الإجابة عليها.

(٢) سورة: النساء الآية (١٥٥)، المائدة الآية (١٣).

إذا أرادت المبالغة الشديدة في نفي المثل، نَفَت مِثْلَ مِثْلِ المثل ليش؟ لأنه كأن المثل أصلا لا يُلتفت إليه، فهو ينفي وجود مثيل لذلك، لأن هٰذا الأول كأنه مفروغ من أنه لا يوجد، ولكنه ذهب إلىٰ الدرجة الثانية، وليس معنىٰ هٰذا أنه إذا نفينا الأدنىٰ أننا نُثبت الأعلىٰ، لا، لكنها في العربية أنّه إذا أراد المبالغة في النفي نفىٰ شَبَه الشبيه؛ نفىٰ مثل المثيل، هٰذا أشد المبالغة.

لكن الوجه الذي يرجحه كثير من المحققين من أهل العلم أن الكاف صلة، وهٰذا ظاهر ولا نحتاج معه إلىٰ جواب عن هٰذا الإيراد.

ج٣/ هٰذه الحروف في أوائل السور التي تسمىٰ الحروف المقطعة، الرّاجح في معناها أنها للإشارة إلىٰ أن هٰذا القرآن مؤلَّف؛ يعني كلماته متألِّفة – لا نقول: مؤلَّف من باب التأليف، لا،- متألفة من جنس هٰذه الأحرف، وإذا كان كذلك، وهٰذه الأحرف هي التي يتكلم العرب بها، ويؤلفون بها كلامهم، فإنه يدل ذلك علىٰ أن هٰذا القرآن معجز، يعني أن يقول للناس: هٰذا القرآن مكوَّن من هٰذه الأحرف التي تتكلمون بها، وتنشئون بها كلامكم، وليس من أحرف أخر، ومع هٰذا أنتم لا تستطيعون أن تأتوا ولا بمثل عشر سور، ولا بمثل سورة منه. وهٰذا يدل علىٰ عظم الإعجاز.

ويدل علىٰ هٰذا التفسير الاستقراء، والاستقراء أحد أوجه الأدلة التي ينبغي العناية بها، فتجد أن معظم السور التي في أولها الأحرف المقطعة يُعقِبها ذكر القرآن أو الكتاب:

قال جل وعلا: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ هٰذه سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾[البقرة].

﴿الٓمٓ ۝١﴾ آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[آل عمران].

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ سورة الأعراف ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾[الأعراف].

، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[هود].

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[1] وهكذا.

---

(١) سورة: يونس الآية (١)، يوسف الآية (١)، الحجر الآية (١).

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في سورة السجدة مثلا.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[فصلت].

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾[الشورى].

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾[ق].

إذن أكثر الصور التي أُبتدأت بالأحرف المقطعة يُعْقِبُها ذكر الكتاب والقرآن، وهٰذا يدل علىٰ أنه متكونة كلماته من هٰذه الأحرف، فأتوا يا كفار يا من لم تصدقوا برسالة النبي ﷺ، إيتوا بمثل هٰذا القرآن أو بمثل عشر سور مثله مفتريات أو بمثل سورة أو بمثل آية إيتوا، فهٰذا فيه أبلغ الإعجاز، ولا يوجد في السلف؛ في الصحابة من يقول: لا نعلم معناها، من يقول: الله أعلم بمعناها بمعنىٰ أنها لا يعلم أحدا معناها، لكن ممكن أن تجد من بعض التابعين من يقول: لا أعلم معناها أو يقول: الله أعلم، أما أن تُجعل لا يعلم معناها، لا، ولهٰذا فانتبه أنه من الأمور التي يشيع فيها الخطأ أن يُقال: الأحرف المقطعة من المتشابه، هٰذه من كلمات الأشاعرة، يريدون بالمتشابه لا أحد يعلم معناها، بل لابد أن يكون هناك طائفة تعلم معناها؛ لأن العلم محفوظ؛ العلم بمعاني الكتاب والسنة محفوظ بحفظ الكتاب والسنة.

ج٤/ الحروف المقطعة لا يجوز أن نقول: إنه ليس لها معنىٰ؛ لأن القرآن أنزله الله جل وعلا وأمر بتدبره فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[محمد: ٢٤]، ولم يستثن الله جل وعلا آية من آية، ولا كلمة من كلمة بأمره التدبر، فأمر بتدبره، ويدخل في ذلك الحروف المقطعة.

وهٰذا يبين لك أن القول الظاهر الصحيح الثابت هو أن الأحرف المقطعة لها معنىٰ علىٰ نحو ما أوضحت لك.

ج٥/ هٰذا الحديث مشهور ثابت في الصحيح وفي غيره، «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»، الرواية المشهورة «**لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر أقلب الليل والنهار**»[1] معنىٰ ذلك أن الله جل وعلا هو

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب حم الجاثية، حديث رقم (٤٨٢٦).

=

الذي يصرّف الدهر، والدهر هو الأيام والليالي، فسبّها -وهي لا تصنع شيئا- يعود لسب من يسيّرها، فهي لا تملك لنفسها شيئا، والليل والنهار لا يعمل شيئا لنفسه، لا يأتي باختياره، ولا يذهب باختياره، وإنما بأمر الله جل وعلا وبتدبيره، فنهىٰ عن سبّ الدهر؛ لأن الله جل وعلا هو الذي يقلّبه، كما قال: «**فإني أنا الدهر أقلب الليل والنهار**» يعني إني أنا مالكه، ومصرّفه، ومدبره، ومجريه، ومبدّل آياته، أوصل الليل بالنهار هٰذا يطلب هٰذا بأمري وقدرتي؛ بأمر الله وقدرته، وهٰذا متعيّن؛ هٰذا التأويل، لأن من المعلوم أن الليل والنهار الذي هو الدهر، ليس هو الله جل وعلا، ولهٰذا غلط من جعل من أسماء الله جل وعلا الدهر كابن حزم ومن شابهه.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا جميعا من أهل جنته، وأن يرحمنا برحمته، وأن يغفر لنا خطأنا وزللنا، وأن يقيمنا علىٰ السنة قائمين قاعدين، وأن يتوفانا غير خزايا ولا مفتونين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

=

مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم (٢٢٤٦).

فهرس المحتويات

مقدمة ٢
براعة الاستهلال ٣
مباحث الاعتقاد مبنية علىٰ شرح أصول الإيمان ٣
ذكر ما يتبع أركان الإيمان في باب الاعتقاد ٤
توحيد الأسماء والصفات ٥
الأصل الأول التسليم للرسول ٦
القرآن محكم كله ومتشابه كله، ومحكم ومتشابه ٧
المؤاخذة الأولىٰ علىٰ المؤلف ٨
للتأويل معنيين لا ثالث لهما ٩
كلام أئمة السلف في الصفات ١٠
تخريج لكلام الإمام أحمد علىٰ أصول السنة ١٠
قاعدة مهمة لفهم الاعتقاد ١١
الترغيب في السنة والترهيب من البدعة ١٣
شرح كلام الشافعي ١٤
وقفة مع الجويني ١٤
تقسيم عمر بن عبد العزيز حال الصحابة إلىٰ قسمين ١٦
ذكر بعض آيات الصفات ١٨
القسم الأول الصفات الذاتية ١٨
قاعدة: الإضافة إلىٰ الله جل وعلا ١٩
صفة اليدين ٢٠
القسم الثاني صفات فعلية ٢٢
صفة الغضب ٢٣
موقف الأشاعرة والماتريدية من الصفات ٢٣
موقف المعتزلة والجهمية من الصفات ٢٣
تفسير (ليس كمثله شيء) ٢٤
ذكر بعض أحاديث الصفات ٢٧
صفة النزول ٢٨

الرد علىٰ من تأول النزول بنزول الرحمة ٢٨
صفة العجب ٢٨
الإنسان لا يستطيع تخيل الله عز وجل لأمور..... ٣٠
صفة العلو ٣٢
العلو ثلاثة أقسام..... ٣٢
الاستواء أخص من العلو ٣٣
موقف أهل البدع من الاستواء..... ٣٤
فصل: كلام الله تعالىٰ..... ٣٥
دليل العقل علىٰ صفة الكلام ٣٦
دليل السمع علىٰ صفة الكلام ٣٦
مواقف المبتدعة من صفة الكلام ٣٦
وقفة مع الآمدي ٣٧
فصل: القرآن الكريم ٣٨
مراتب القرآن العظيم ٤١
الفرق بين القول والكلام..... ٤٣
الخلاصة في صفة الكلام عامة والقرآن خاصة ٤٣
فصل: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة..... ٤٤
أقوال المبتدعة في الرؤية ٤٥
فصل: في القضاء والقدر ٤٧
الفرق بين لفظتي القضاء والقدر ٤٨
مراتب الإيمان بالقدر ٤٩
نفاة القدر قسمان ٥١
الجبرية قسمان..... ٥١
الكسب عند الأشاعرة..... ٥٢
المؤاخذة الثانية علىٰ المؤلف ٥٤
فصل في الإيمان..... ٥٧
قسمي المرجئة..... ٥٨
الإيمان ما جمع خمسة أمور..... ٥٨
تعريف الإيمان لغة ٥٩
الإيمان بنصوص الغيب..... ٦٢

عذاب القبر ونعيمه ٦٤
حشر الناس يوم القيامة ٦٥
نفخة الصعق ٦٥
حوض النبي ٦٦
الميزان وما يوزن به ٦٧
الصراط ٦٨
الشفاعة ٦٨
أنواع الشفاعة ٦٩
معتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله ٧٣
حكم سب الصحابة ٧٤
حكم سب أمهات المؤمنين ٧٥
أهل السنة لا يكفرون بكل ذنب ٧٦
اهل السنة يرون الحج والجهاد مع كل بر وفاجر ٧٦
أهل السنة يرون أن الولاية الشرعية تحصل بطريقين ٧٧
من السنة هجران أهل البدع ٧٩
المؤاخذة الثالثة علىٰ المؤلف وتخريج كلامه ٨٢
موقفنا من الاختلاف ٨٢
الدعوة التي دعا بها المؤلف ٨٣
أجوبة الأسئلة ٨٤
فهرس المحتويات ٨٨

شرح

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب التميمي

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

شرح
القواعد الأربع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أسألُ اللهَ الكريم ربّ العرش العظيم أنْ يتولّاكَ في الدُّنيا والآخرة، وأنْ يجعلكَ مبارَكًا أينما كنتَ، وأن يجعلَكَ ممّن إذا أُعطيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلي صبَر، وإذا أذنبَ استغفر؛ فإنّ هٰؤلاء الثَّلاث عنوان السَّعادة.

[الشرح]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فإنّ هٰذه النّبذة المختصرة (**القَواعد الأربع**) من النّبذ المهمَّة، من مقال إمام هٰذه الدّعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ، وأهميتها تأتي بمعرفة مضادّات تلك القواعد الأربع، وأنّ الإخلال بهٰذه القواعد الأربع، أو عدمَ ضبط تلك القواعد يقع معه لَبس عظيم في معرفة حال المشركين وحال الموحِّدين، والابتلاء وقع بحال أهل التَّوحيد وبحال أهل الشِّرك، والله -جلَّ وعلا- في القرآن بَيَّن ما يجب من حقه في توحيده وبَيَّن الشِّرك به بيانًا عظيمًا.

وهٰذه القَواعد الأربع مأخوذة من نصوص الكتاب والسّنّة ومن معرفة حال العرب -كما سيأتي-، فهي قواعدُ عظيمة تَعْصِمُ مَن حَفِظَها وعلِمَ معناها مِن أنْ يكون عنده تردُّد في مسألة الحُكم علىٰ أهل الإشْراك وعلىٰ وجوب إخلاص الدِّين لله -جلَّ وعلا- وكيف يكون ذٰلك.

إمام الدَّعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كعادته في كثير من رسائله يبتدئها بدعاء لمن يقرأ تلك الرِّسالة أو لمن وُجِّهت إليه، وهٰذا -كما هو معلوم- فيه التَّنبيه علىٰ أنَّ مَبنىٰ العلم ومَبنىٰ الدَّعوة الرَّحمة، الرَّحمة والتَّراحم بيْن المعلِّم والمتعلِّم، والرَّحمة والتَّراحم بين الدَّاعية والمدعو؛ لأنّ الرَّحمة في ذٰلك هي سبب التَّواصل، قال جلَّ وعلا: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[1]، يعني: فبِرحمةٍ من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم؛ و(مَا) في هٰذه الآية صلة لتأكيد الجملة، وهي التي تسمَّىٰ الزَّائدة؛ لزيادة التَّأكيد؛ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ يعني: فبرحمة من الله لنت لهم، فبرحمة من الله لنت لهم.

فالدُّعاء هٰذا ناتج عن الرَّحمة، وهٰكذا ينبغي علىٰ المعلِّم وعلىٰ الدَّاعية وعلىٰ الآمر بالمعروف وعلىٰ النَّاهي عن المنكر أن يكون راحمًا للخلق، أن يكون رحيمًا بهم، كما وصف الله -جلَّ وعلا- نبيَّه -عَلَيْهِ

---

(١) سورة: آل عمران، الآية (١٥٩).

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] ، وقال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف حال الدَّاعي إلىٰ الله مع أهل المعصية وأهل النفور عن الحق قال في ذٰلك:

واجعل لوجهك مقلتين كلاهما ... من خشية الرَّحمٰن باكيتان
لو شاء ربُّك كنتَ أيضًا مثلهم ... فالقلبُ بين أصابع الرَّحمٰن[٣]

حتىٰ حين تُوقع الحدود وتُطبّق فهي تطبَّق علىٰ وجه الرَّحمة لا علىٰ وجه الانتقام، رحمةً بهٰذا الذي استحقَّ تلك العقوبة أن تَسلَّط عليه إبليسُ والشَّيطان فجعله مستحقًّا لذٰلك، كالأسير من أحبابك إذا وقع أسيرًا في أيدي العدو.

فهٰذا التَّقديم بالدُّعاء من الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ فيه التَّنبيه علىٰ ذٰلك.

ودعا وكان فيما دعا أنّه سأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا (**ممّن إذا أُعطيَ شَكَرَ، وإذا ابتُلي صبَرَ، وإذا أذنبَ استغفَرَ؛ فإنّ هٰؤلاء الثَّلاث عنوان السَّعادة**).

(**إذا أُعطيَ شكر**): لأنَّ العطاء من الله -جلَّ وعلا- نعمة، والله -جلَّ وعلا- يحبّ الشَّاكرين من عباده.

والشُّكر يكون بلسان المقال، ويكون بالعمل:

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[٤]، بالمقال وبالعمل.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[٥]، هٰذا من جهة العمل.

---

(١) سورة: الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٢) سورة: التوبة، الآية (١٢٨).

(١) قال ابن القيم في «الكافية الشَّافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج٤/ ص٣١ ط الأولىٰ ١٤٢٧ بإشراف بكر أبو زيد):

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... بالحق في ذا الخلق باصرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها ... إذْ لا تُرَدُّ مشيئة الدَّيَّان
وانظُر بعين الأمر واحملهم علىٰ ... أحكامه فهُما إذًا نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما ... من خشية الرَّحمٰن باكيتان
لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم ... فالقلب بين أصابع الرَّحمٰن

(٤) سورة: لقمان، الآية (١٤).

(٥) سورة: سبإ، الآية (١٣).

﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١]، هٰذا من جهة القول والعمل.

ولهٰذا اختلف -أو افترق- الشُّكرُ عن الحمد:

- **فالشُّكر** يكون عن نعمة، وأمَّا **الحمدُ** فقد يكون لنعمة أو في مقابل نعمة وقد لا يكون؛ يكون ثناءً مبتدَءًا.
- **والشُّكر** يكون باللِّسان وبالعمل، وأمَّا **الحمدُ** فيكون باللِّسان دون العمل.

في فروق بينهُما معروفةٍ عند أهل العلم، فهٰذا ممَّا ينبغي تدبّره، وهو أنَّ العبد إذا أُعطي عطاءً شكر عطاءَ الله جلَّ وعلا.

وشكرُ العطاء -كما ذكرنا- بالقول وبالعمل:

- أمّا بالقول فبأن يُنْسَب ذٰلك العطاء إلىٰ من أعطاه، وأن يُثنىٰ عليه به، وأن لا يُلتفت فيه إلىٰ غيره، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[٢]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٣].
- ومن جهة أخرىٰ -جهةِ العمل- يكون الشُّكر باستعمال النِّعم فيما يحب من أنعم بها وأسْداها.

وهٰذا مما يحبه الله جل وعلا؛ بل من عظيم ما يحب الله من العبادات أن يكون العبد شاكرا؛ ولهٰذا قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٥]؛ يعني: يا ذرية من حملنا مع نوح[٦]، إنه كان عبدًا شكورًا: كان كثير الشُّكر لله جلَّ وعلا.

قال أهل التَّفسير: كان إذا أكل الأكلة شكر اللهَ عليها، وإذا شرِب الشَّرْبَة شكر اللهَ عليها، وإذا اكتسىٰ شكر اللهَ علىٰ ذٰلك[٧]، يعني: أن يتبرَّأ من كلِّ حولٍ وقوةٍ فيما جاءه من النِّعم أو ممَّا يسَّره وأن يعترف بأنَّها من الله جلَّ وعلا.

وباب الشُّكر له صلة بالتَّوحيد، وكأنّ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين ذكر الشُّكر علىٰ العطاء، والصَّبر علىٰ البلاء، والاستغفار من الذَّنب، كأنَّه نظر إلىٰ حال الموحِّد، وخاطبه بما يجب عليه أن يكون معه دائمًا، فإنّ الموحِّد أنعم الله عليه بنعمة لا تَعْدِلُها نعمة؛ ألا وهي أنْ كان علىٰ الإسلام الصَّحيح، أنْ كان علىٰ

---

(١) سورة: البقرة، الآية (١٥٢).

(٢) سورة: النحل، الآية (٥٣).

(٣) سورة: النحل، الآية (٨٣).

(٤) سورة: سبإ، الآية (١٣).

(٥) سورة: الإسراء، الآية (٣).

(٦) «تفسير ابن أبي حاتم» (ج٨/ ص٢٣٠٩ ط مكتبة نزار، الرياض، الأولىٰ ١٤١٧).

(٧) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (ج٦/ ص٨ ط: دار الكتب العلمية، الأولىٰ ١٤١٣)، وانظرْ أيضا «تفسير ابن جرير» و«الدر المنثور» للسيوطي، وغيرها.

التَّوحيد الخالص الذي وعد الله أهله بالسّعادة في الدُّنيا والآخرة.

ولابدّ للموحِّد من الابتلاء؛ فسأل اللهَ له أنْ إذا ابتُلي صبر.

والابتلاء قد يكون من جهة الأقوال التي توجَّه إليه.

وقد يكون الابتلاء من جهة البدن.

وقد يكون من جهة المال أو غير ذٰلك.

قال: (**وإذا أذنبَ استغفر**)؛ لأنَّ الموحّد لابد وأن يكون معه شيء من الإعراض، و لابدَّ أن يقع الذَّنب؛ إمَّا من الصَّغائر، وإمَّا من الكبائر، والله -جلَّ وعلا- من أسمائه "**الغفور**"، ولا بدَّ أن يظهر أثر ذٰلك الاسم في بريئته وملكوته.

لهٰذا يحب اللهُ من عبده الموحّدِ المخلص أن يكون دائم الاستغفار، ولابد للموحّد من ذٰلك، والعبد إذا ترك عظيم الاستغفار جاءه الكِبر، والكِبْر يحبط كثيرا من العمل.

لهٰذا قال هنا: (**وإذا أذنبَ استغفر، وهٰؤلاء الثلاث عنوان السعادة**)، فإذن هٰذه متلازمة في حال كلِّ موحِّدٍ، وهي: الشُّكر علىٰ العطاء، والصَّبر علىٰ البلاء، والاستغفار من الذَّنب والعصيان، وكلّما عَظُم العبد معرفةً بربه كلَّما عظَّم هٰذه الثَّلاث، وكلَّما عظم التَّوحيد في القلب عظُمت هٰذه الثَّلاث، حتىٰ يصير العبدُ لا يرىٰ سوىٰ الله -جلّ وعلا- في استحقاق شيء من أعماله وتصرُّفاته، فإن غفل في ذٰلك كان استغفاره ليس استغفار الذي لا يفقه، ولهٰذا كان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة،[1] وفي رواية في الصَّحيح أنه: «**كان يستغفر الله في المجلس الواحد مائة مرّة**».[2]

والموحِّد عليه خطر؛ خطر الغرور، الغرور بِأنه من أهل التَّوحيد، أو من المحققين لاتباع السَّلف، أو ممَّن علِم هٰذا العلم، ثم لا يكون في قلبه من الخضوع والذُّل -الذي يعلمه الله منه- ما يكون ذٰلك سببًا لقَبول هٰذه الوسيلة، وهي وسيلة التَّوحيد إلىٰ الله جلَّ جلاله، وشأن الله أعظم، وطلبَ من عباده شيئًا قليلا، ولهٰذا عظم أمر التوحيد، وَقَبُحَ جدًّا الشرك وما جرَّ إليه.

---

(١) أخرجَه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٦٣٠٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجَه الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٣٤٣٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٣٨٨٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

[المتن]

اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعته أنّ الحنيفيّة ملّة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصًا له الدِّين كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١].

فإذا عرفتَ أنّ الله خلقَك لعبادته فاعلم أنّ العبادة لا تسمّىٰ عبادة إلّا مع التَّوحيد، كما أنّ الصَّلاة لا تسمّىٰ صلاةً إلّا مع الطّهارة؛ فإذا دخل الشِّركُ في العبادة فسدتْ كالحدَث إذا دخل في الطَّهارة.

فإذا عرفتَ أنَّ الشِّرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النَّار عرفتَ أنّ أهمّ ما عليك معرفة ذٰلك؛ لعلّ الله أن يخلّصك من هٰذه الشَّبكة، وهي: الشِّرك بالله الذي قال الله تَعَالىٰ فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢]، وذٰلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالىٰ في كتابه.

[الشرح]

هٰذه المقدمة مدخل لهٰذه القواعد، وأوّل ذٰلك (أنّ الحنيفية) هي (ملة إبراهيم عليه السلام)، وجعل الله - جلَّ وعلا- إبراهيم (حنيفًا) يعني: مائلا عن طريق الشِّرك إلىٰ التَّوحيد الخالص.

والحنيفية هي: الملة التي مالت عن كلِّ باطل إلىٰ الحقّ، وابتعدت عن كلِّ باطل إلىٰ الحقّ، وهي مِلّة أبينا إبراهيم عليه السلام؛ كما قال جلَّ وعلا: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾[٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[٤].

حقيقةُ ملَّة إبراهيم هي: تحقيق معنىٰ (لا إلٰه إلَّا الله)؛ كما قال -جلَّ وعلا- في سورة الزخرف: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾، وهٰذه الكلمة هي كلمة (لا إلٰه إلَّا الله)، قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، هٰذه هي كلمة التَّوحيد:

﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾: هٰذا هو النِّصف الذي هو النَّفي في كلمة التَّوحيد؛ يعني: قول (لا إلٰه) معناه: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾.

(إلَّا الله) يعني: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾.

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ فأعظم تفسير لكلمة التَّوحيد هو هٰذه الآية حيث قال: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا

---

(١) سورة: الذَّاريات، الآية (٥٦).

(٢) سورة النساء، الآية (٤٨)، وكذٰلك الآية: (١١٦).

(٣) سورة: آل عمران، الآية (٦٧).

(٤) سورة: النَّحل، الآيتان (١٢٠-١٢١).

تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

ولهٰذا قال أهل العلم: إنَّ كلمة التَّوحيد (**لا إلٰه إلَّا الله**) فيها نفي، وفيها إثبات:

والنَّفي فيه البراءة من كل معبود سوىٰ الله جلَّ وعلا، ومن عبادة كل ما سوىٰ الله جلَّ وعلا؛ لأنَّ عبادة ما سوىٰ الله جلَّ وعلا باطلة.

وإثبات العبادة لله جلَّ وعلا وحده سبحانه، يعني: إنزال العبودية الحقّة المستحَقَّة في واحد وهو الله جلَّ جلاله.

هٰذه هي ملَّة إبراهيم، وهٰذه هي الحنيفية، وهي التي أمر الله -جلَّ وعلا- نبيَّه بالاستمساك بها؛ ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[١]، فملَّة إبراهيم هي التَّوحيد.

وإذا عرفتَ هٰذا، فإنَّ العبادةَ لا تُقبل إلا بالتَّوحيد، وذٰلك من مثل الطَّهارة للصَّلاة، فإنّ التَّوحيد شرط قَبول العبادة؛ يعني الإخلاص، والطَّهارة شرط صحَّة الصَّلاة، فكما أنّه لا تصِحّ الصَّلاة إلَّا بطهارة، فكذٰلك لا تصحّ عبادة أحد إلَّا إذا كان موحِّدًا، ولو كان في جبهته أثر السُّجود، وكان صائمًا في النَّهار قائمًا في الليل فإنّ شرط قَبول ذٰلك أن يكون موحّدًا مخلصًا؛ قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِىَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[٢]، وقال -جلَّ وعلا- في الكفَّار: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٍ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[٣].

فعظيم العبادة وكثرة العبادة إذا لم تكن مع الإخلاص فإنها غير مقبولة؛ كما أنَّ الرّجل يصلِّي صلاة عظيمة يطيل فيها القيام، ويطيل فيها الرُّكوع، ويطيل فيها السُّجود، ويحسِّنُها جدًّا، وقد دخل فيها علىٰ غير طهارة!؛ هٰذه صلاة غير مقبولة بالإجماع؛ لأنّ الطهارة شرط صحة الصَّلاة؛ كما ثبت في الصَّحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يقبَل اللهُ صلاةَ أحدكم إذا أحدث حتىٰ يتوضأ**»[٤]، «**لا صلاة إلا بطُهور**»[٥]، وهٰذا شرط متَّفقٌ عليه.

وهٰذا تقريبٌ لهٰذه المسألة العظيمة، وإلَّا فإنّ شرط الإخلاص والتوحيد لقَبول العبادة أعظم من شرط الطَّهارة لقَبول الصَّلاة؛ لأنَّه إذا صلّىٰ محدِثًا متعمِّدًا فإنّ في تكفيره خلافا بين أهل العلم، وأمَّا إذا عَبَدَ اللهَ مشركًا فإنَّه بالإجماع ليس مقبول العبادة، وبالإجماع هو كافر؛ لأنَّه أشرك بالله -جلَّ وعلا- الشِّركَ الأكبرَ الذي لا يُقبل معه عمل.

---

(١) سورة: النحل، الآية (١٢٣).

(٢) سورة: الزمر.

(٣) سورة:الفرقان.

(٤) أخرجَه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٦٩٥٤)، واللفظ له، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجَه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٢٤)، بلفظ: «**لا تقبل صلاة بغير طهور**» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

إذا تقرَّر ذٰلك فإنّ هٰذا الأصل يجعل المرءَ يخاف ويفرح:

- يخاف من الشِّرك وأن يكون من أهله.
- ويفرح أن جعله الله -جلَّ وعلا- من أهل التَّوحيد.

وفَرَحُه بِأَنْ جعله الله من أهل التَّوحيد يوجب شُكر ذٰلك والمحافظة عليه.

وخوفه وهربه من أن يكون من أهل الشِّرك أو أن يأتيه بعض الشِّرك، يجعله دائم الحذر أن يعْتَرِيَ عبادته أو عقيدته أو أقواله شيء من الشِّركيات؛ لأنَّ الشِّركيات إذا كانت من الشِّرك الأكبر فإنها مُحبطة للعمل، وإذا كانت من الشِّرك الأصغر فإنَّها أعظم من البدع والمعاصي المختلفة -يعني: من حيث الجنس-، وهٰذا لا شكّ يجعل المرء الخائف الرّاجي -يعني: الخائف الفرح؛ الفرِح بالتَّوحيد، الخائف من الشِّرك- يجعله يطلب هٰذه القواعد التي تجعله في يقينٍ من أمْره.

والتَّوحيد والشِّرك في دعوة الإمام المُصلح رَحِمَهُ اللَّهُ لمن تأمّلَهُ قد يكون معه شيء من التردُّد أو الشَّك في صحة ما جاء به الشَّيخ من جهة تقرير المسائل، ومن جهة الحكم علىٰ أهل الشِّرك والإشراك؛ لأنّ المسألة عظيمة؛ أنْ يكون أحد ممَّن يقول: **لا إلٰه إلَّا الله محمد رسول الله** ويصلِّي ويزكِّي ويصوم ويحجُّ ويتعبَّد ويكون من أهل العبادات العظيمة ومن أهل الصّلاح -كما يقول الناس- ثم يُقال: إنَّ عملَه الذي عمله من الشِّركيات، أو لَمَّا لم يكفر بالطاغوت يجعل عمله هٰذا كَلا شيء، هٰذه عظيمة، وكيف تستقرُّ في النُّفوس؟

فربَّما حدث -من جهة النَّظر- في النَّاس الذين يتعبَّدون العبادات العظيمة وهم واقعون في الشِّرك، ربَّما تعاظم بعض النّاس أن يكون أولٰئك من المشركين.

وهٰذه القواعد لتأصيل هٰذه المسألة العظيمة، وهي: أنّ الأمر يُنظر فيه إلىٰ حقِّ الله، وإنَّما أتىٰ الخلل من جهة نظر النَّاس إلىٰ حق المخلوق؛ إلىٰ واقع المخلوق، ولٰكن لو نظروا إلىٰ حق الله جلَّ وعلا؛ الذي خلق الإنسان فسوّاه، وعدله، والذي خلق السَّمٰوات علىٰ هٰذا النَّحو العجيب، وهٰذه الأرض، وأقام الدَّلائل علىٰ وحدانيته في ربوبيته، وجعل ذٰلك في النَّفس، وفي الآفاق، وفيما حوله، يجعل أنَّه لا حجة لمشركٍ علىٰ الله -جلَّ وعلا-، ولٰكنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بعث الرُّسلَ رحمة؛ لإقامة الحجَّة ولإعلان النَّذير.

[المتن]

القاعدة الأولى:

أن تعلم أنّ الكفّار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقِرُّون بأنّ الله تعالىٰ هو الخالِق المدبِّر، وأنّ ذٰلك لم يُدْخِلْهم في الإسلام، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[١].

[الشَّرح]

القاعدة الأولىٰ: أنّ توحيد الرُّبوبية لا يُدخل أحدًا في الإسلام، توحيد الرُّبوبية ليس هو المطلوب؛ فإنّ معرفة العرب بأن الله -جلَّ وعلا- هو الخالق، وهو الرّزّاق وحده، وهو المحيي وحده، وهو المميت وحده، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي إليه الأمر، وهو الذي يُنزل المطر، وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، هٰذا كلّه يُقِرُّون بأن الذي سخّر ذٰلك وخلقه هو الله جلَّ وعلا، ومع ذٰلك ما نفعهم، ولم يجعلهم اللهُ -جلَّ وعلا- بذٰلك من أهل الإسلام، قال جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[٢]، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ يعني: الإيمان بربوبيَّته ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ في عبادته[٣].

تنظر إلىٰ حال كفَّار العرب: مُقِرُّونَ بأكثر أفراد الرُّبوبية، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ يعني: الذي يفعل هٰذه الأشياء هو الله وحده، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ يعني: أتقولون ذٰلك وتُقِرُّون بوحدانيته في الرّبوبية فلا تتَّقونه في عبادته وحده وترك الإشراك به؟!؛ فأقام عليهم الحجّة بما أقرّوا به علىٰ ما أنكروه.

وهٰذه هي طريقة القرآن في إقامة الحجَّة علىٰ المشركين، فإنّ من براهين التَّوحيد -توحيد العبادة- : أن تُقام الحجَّة بتوحيد الرُّبوبية؛ لأنَّ من كان هو الفاعل وحده -يعني: هو الخالق وحده، هو الرَّزاق وحده ... إلىٰ آخر أفراد الرُّبوبية- فإنَّه هو الذي يستحقُّ العبادة دونما سواه.

ولهٰذا قال سبحانه منكِرًا علىٰ المشركين: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[٤]، وقال سبحانه:

---

(١) سورة: يونس.

(٢) سورة: يوسف.

(٣) انظُر «تفسير ابن جرير الطبري» (ج١٦/ ٢٨٦) ط الثانية، مكتبة ابن تيمية القاهرة، تحقيق محمود شاكر، وانظر أيضا «تفسير ابن أبي حاتم» (ج٧/ ص٢٢٠٧-٢٢٠٨) وغيرهما.

(٤) سورة: الأعراف.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1]، ووصف الذين جعلهم المشركون آلهةً بأنهم عاجزون، وليس لهم قدرة، وليس لهم خَلْق، وليس لهم صفات تجعل أولٰئك يتوجَّهون إليهم: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[2]، هٰذا مَثَل الذين توجّهوا إليهم بالعبادة، وإقرار المشركين بالرُّبوبية لم يُدخلهم في الإسلام.

نستنتج من ذٰلك: أنّ إقرار مَنْ بَعْدهم بالرُّبوبية لا يعني أنهم مؤمنون، فإذا أتىٰ آتٍ وقال: أنا مؤمن بأنّ الله هو الرَّب، وهو الخالق، هو ربي، وهو الذي يرزقني، وهو الذي أحياني، وهو الذي يميتني؛ هٰذا لا يُعَدّ مؤمنًا الإيمان الشَّرعي؛ يعني لا يُعَدّ مسلمًا حتىٰ يأتي بالتَّوحيد.

ولهٰذا غلط المتكلمون حينما عرّفوا (**الإلٰه**) بأنّه القادر علىٰ الاختراع؛ قالوا: الإلٰه هو القادر علىٰ الاختراع.

فعندهم معنىٰ (**لا إلٰه إلَّا الله**) راجع إلىٰ الرُّبوبية، وهٰذا أعظم غلط علىٰ دين الإسلام؛ الذي غلط به المتكلمون علىٰ الدِّين، وعلىٰ الملَّة، حيث جعلوا الابتلاء واقعًا في الرّبوبية، فإذا أيقن بأنّ الموجب للأشياء والخالق لها هو الله فإنه يكون عندهم مؤمنًا مسلمًا، وهٰذا غيْر معنىٰ الألوهية؛ لأن (**لا إلٰه إلَّا الله**) معناها: لا معبود حقّ إلَّا الله جلَّ وعلا، فمعناها راجع إلىٰ العبودية لا إلىٰ الرُّبوبية.

إذن مراد الشَّيخ من هٰذه القاعدة المهمة اليقينية بأنَّ هٰذه القاعدة يقينية من حال الكفار وحال المشركين في أنَّهم مقرُّون بتوحيد الرُّبوبية ولم ينفعهم، ولم يُدخلهم في الإسلام، ولم يجعل لهم حقًّا؛ لأنهم أشركوا مع الله -جلّ وعلا- آلهة أخرىٰ، وعبدوا آلهتهم الباطلة، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[3].

فإذا نظرنا في هٰذا الزَّمن وفي زمن الشَّيخ وما قبله وما بعده في أنّ هناك من يوقن بالرُّبوبية ولٰكنَّه يُشرك بالعبادة، فإنّ ذٰلك لا ينفعه، كحال الأوّلين، لأنَّ القاعدة: أن مشركي العرب كانوا يوقنون بالرُّبوبية.

واليوم قد يأتي علىٰ بعض النُّفوس ضَعف؛ إذا سمع من يقول: (إن شاء الله) أو سمع من يذكر الله -جلَّ وعلا- أو يقول عن الله هو ربُّه وهو مولاه أو نحو ذٰلك ظنَّه مسلمًا، وقنِعَ منه بذٰلك، وهٰذا لم يقع الابتلاء به أصلا، بل لابد أن يكون موحِّدًا في عبادته، يعني: يعبد الله بما جاء به المصطفىٰ ﷺ، ويكون متبرِّئًا خالصًا من الشِّرك وأهله.

---

(١) سورة: النَّمل.

(٢) سورة: الحج.

(٣) سورة: ص، الآية (٥).

[المتن]

القاعدة الثانية:

أنّهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم إلا لطلب القُرْبة والشَّفاعة، فدليل القُربة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾[١].

ودليل الشَّفاعة قوله تَعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢].

والشَّفاعة شفاعتان:

- شفاعة مَنفيّة.
- وشفاعة مُثبَتة.

فالشَّفاعة المنفيّة ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله، والدَّليل قوله تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾[٣].

والشَّفاعة المثبَتة هي: التي تُطلب من الله، والشّافع مُكْرَمٌ بالشَّفاعة، والمشفوع له: من رضيَ اللهُ قولَه وعملَه بعد الإذن كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[٤].

[الشَّرح]

هٰذه القاعدة الثانية في بيان حال المشركين في عبادتهم؛ عبدوا آلهة مع الله -جلَّ وعلا- ومن دونه.

ماذا يقصدون بهٰذه العبادة؟ هل يقولون: هي آلهة استقلالية؟ أم أنها وسائط؟

هٰذه القاعدة أفادت: بأنهم إنَّما كانوا يعبدون غير الله -جلَّ وعلا- علىٰ جهة الوساطة، علىٰ جهة القُربة، أو علىٰ جهة الشَّفاعة، يعني: يقولون: إنّ آلهتهم الباطلة تقرّبهم إلىٰ الله، أو ترفع حوائجهم إلىٰ الله، أو يقولون: إنَّها تشفع لهم عند الله جلَّ وعلا.

يعني: أن مشركي العرب لم يكونوا يطلبون من الآلهة استقلالًا، وإنَّما كانوا يطلبون من الآلهة علىٰ وجه الوَساطة، وهٰذه الوساطة من جهة القُربة ومن جهة الزُّلْفَىٰ، والجهة الثانية جهة الشَّفاعة؛ كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (**فدليل القُربة قوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

(١) سورة: الزمر.

(٢) سورة: يونس، الآية (١٨).

(٣) سورة: البقرة.

(٤) سورة: البقرة، الآية (٢٥٥).

زُلْفَىٰٓ ﴾[١])، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: آلهة، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني: يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا﴾ وهٰذا حصر، ويسمَّىٰ عند علماء البلاغة: حصر قلب إضافي، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعني: ما نعبدهم لعلة من العلل إلَّا لأجل التَّقريب، فَهُمْ حصروا ما أرادوا في القربىٰ من الله جلّ وعلا، فَهُم أرادوا ما عند الله جلّ وعلا.

فإذن حين توجهوا إلىٰ هٰذه الآلهة الباطلة أرادوا ما عند الله، ولم يطلبوا منها استقلالًا، وإنَّما أرادوها زلفىٰ وقربىٰ إلىٰ الله جلَّ وعلا، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٢] فأرادوا بذٰلك القُربة.

ودليل الشَّفاعة قوله تَعَالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾[٣] الآية، والشَّفاعة: أن يطلبوا من الله -جلَّ وعلا- لهم الحوائج؛ لأنّ معنىٰ الشَّفاعة أن يضم المطلوب منه طلبه إلىٰ الطالب فيرفعه إلىٰ من عنده الأمر، هٰذا معنىٰ الشفاعة، فـ ﴿يَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، يعني: سيكونون طالبين لنا ما نريد، والله -جلَّ وعلا- لا يردُّ شفاعتهم؛ لأنهم مقرَّبون عنده.

وأصل شرك العالَم كان في جميع الفئات والطوائف كان علىٰ أحد جهتين:

أمَّا الجهة الأولىٰ فهي: الشرك بالاعتقاد بروحانيات الكواكب، كما كان شرك قوم إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّ إبراهيم أتىٰ إلىٰ قوم يعبدون الأصنام التي هي مصوّرة علىٰ صور روحانية الكواكب؛ الكواكب الخاصَّة التي يعتقدون أنَّ لها تأثيرًا في الملكوت، عبدوا الأصنام أو الأوثان؛ لأنّ أرواح تلك الكواكب تحِلّ فيها؛ والشياطين تحلُّ في تلك الأصنام والأوثان وتخاطبهم، وربَّما حصّلت لهم بعض ما يريدون، فوقع الأمر بأن أشركوا، وزادوا علىٰ الشِّرك علىٰ اعتقاد أن الكواكب هي التي تفعل، وروحانية الكوكب هي التي تخاطب؛ قال جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾[٤].

والعلماء اختلفوا: هل كان ناظرًا أم مناظرًا؟ والصَّحيح الذي يضعف غيرُه: أن إبراهيم عليه السلام كان في قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ كان مناظرًا لا ناظرًا[٥].

---

(١) سورة: الزمر، الآية (٣).

(٢) سورة: الزمر، الآية (٣).

(٣) سورة: يونس، الآية (١٨).

(٤) سورة: الأنعام.

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» (ج٦/ ٩٧) مؤسسة قرطبة ط الأولىٰ، بعد أن ذكر قول الذين قالوا: إنه قال ذٰلك في صغره، والذي نقله أيضا ابن جرير في تفسيره: (والحق أنَّ إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كان في هٰذا المقام مناظرا لقومه، مبيِّنا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام)، وبين =

والجهة الثانية: شرك قوم نوح عليه السلام، وهو الشِّرك من جهة الاعتقاد بروحانية وأرواح الصَّالحين؛ قال تَعَالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[1]، وقد ثبت في صحيح البخاري[2] من حديث عطاء عن ابن عباس أنَّه قال: هٰذه أسماء رجال صالحين كانت في قوم نوح، و وقع الشّرك بهٰؤلاء الرِّجال لأنهم صالحون.

العرب ورثوا الشِّرك بالصالحين؛ فعبدوا أصنامًا متعدِّدة وأوثانا:

عبدوا اللَّات؛ واللّات كان مكانا، كان قبرًا تحلّ فيه روحانية ذاك -كما يعتقدون-، ومثّلوا عليه صنمًا فصاروا يعبدونه، وهي شياطين تتلاعب بهم.

وكذٰلك العُزَّىٰ؛ والعزّىٰ شجرة، ومَناة صخرة، وكان عند الشجرة رجل صالح يتعبد، وكان عند مَناة صالح يتعبَّد[3].

وجعلوا الصَّالحين وأرواح الصَّالحين والاعتقادَ فيهم سببا لكي يرفع أولٰئك الحوائج لهم إلىٰ الله جلَّ وعلا.

إذا تأمَّلتَ حال العرب وجدتَ أنّ الشِّرك حصل من العرب، كما أراد الشَّيخ رحمه الله تقريره في هٰذه القاعدة الثَّانية؛ أنّ الشرك حصل من العرب -كما سيأتي- بأناس صالحين، أو أن الشِّرك وقع بالآلهة لأجل طلب القربة والشَّفاعة، لا لأجل أنّ هٰذه مستقلة لها شيء من الرُّبوبية، أو لها شيء من الألوهية الاستقلالية؟ لا، ولٰكن لها ألوهية علىٰ جهة التَّبَع، تُعبد لٰكن لأنها واسطة وليست آلهة مستقلّة، ولهٰذا قال جلّ وعلا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[4]، فإنهم يعتقدون أن هٰذه الآلهة وسائط علىٰ جهة القُربة والشَّفاعة.

الشَّفاعة في الكتاب والسنة - في النصوص- نوعان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

والشَّفاعة المنفية -كما ذكر الإمام رحمه الله- هي: **الشَّفاعة فيما لا يقدر عليه إلَّا الله جلَّ وعلا**؛ الشَّفاعة في

= وجه ذٰلك الزمخشري في «الكشاف» (ج٢/ ص٣٦٦ ط الأولىٰ مكتبة العبيكان): (﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، لأن ذٰلك أدعىٰ إلىٰ الحق، وأنجىٰ من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيُبطله بالحجة)، ونقله أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط» (ج٤/ ص١٧٢) وقال: (فيكون هٰذا القول منه استدراجا لإظهار الحجة وتوسلا إليها كما توسل إلىٰ كسر الأصنام بقول: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات:٨٨-٨٩]، فوافقهم ظاهرًا علىٰ النظر في النجوم، وأوهمهم أن قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ناشئ عن نظره فيها) انتهىٰ.

(١) سورة: نوح، الآية (٢٣).

(٢) أخرجَه البخاري رحمه الله (ح٤٩٢٠).

(٣) انظر «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٠-٢٦٣،ت:خالد السبع).

(٤) سورة: ص، الآية (٥).

مغفرة الذّنب ممن لا يملك ذٰلك.

الشَّفاعة بمعنىٰ: طلب الدُّعاء؛ شفع يعني: طلب، والشَّفاعة هي الطَّلب، والمطلوب منه إمَّا أن يكون حيًّا حاضرًا، وإمَّا أن يكون ميتا؛ والحيّ الحاضر في الدُّنيا أو في عرصات القيامة جاءت الأدلة بجواز طلب الشَّفاعة منه، كما جاءت بذٰلك النُّصوص الكثيرة.

أمَّا الميّت فإنه ليس في دار عمل، وليس في دار طلب، وليس عند الله -جلّ وعلا- بالمكان الذي يطلب فيُعطىٰ ما طَلَبَهُ، ولٰكن تُطلب الشّفاعة من الله جلّ وعلا.

فالشَّفاعة المنفية هي التي نفاها الله -جلَّ وعلا- في كتابه، كما في قوله جلَّ وعلا: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[1]، وكما قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[2]، وكما قال جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[3]، ونحو ذٰلك من الآيات التي فيها نفي الشّفاعة، هٰذه الشَّفاعة المنفية هي الشَّفاعة التي تكون من غير إذن الله، ولا رِضاه، وتكون بطلبها ممن لم يُمكَّن من ذٰلك، طلب ذٰلك من ميْت مهما كانت درجته، فإنه لم يُمكَّن من ذٰلك، لم يُمكَّن أن يَطلب الشَّفاعة.

ولهٰذا يكون طلب الشفاعة من الله جلَّ وعلا، وهٰذه هي الشَّفاعة النَّافعة؛ **الشَّفاعة المثبتة**، وهٰذا استطراد من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معنىٰ الشَّفاعة الحقَّة، والرَّد علىٰ الذين تعلّقوا بالشَّفاعة الباطلة، وتفصيلها معروف في موضعه من كتاب التَّوحيد، ومن كتب أهل السُّنة في الشَّفاعة.

مُلخّص ذٰلك: أنّ الشَّفاعة المثبتة هي التي توفّرت فيها الشُّروط الشَّرعية، وأعظم هٰذه الشُّروط شَرْطَا الإذن والرِّضا؛ الإذن للشَّافع أن يشفع والرِّضا عن الشافع والرضا عن المشفوع له، قال جلَّ وعلا: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[5]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[6]، وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[7].

فإذن الشَّفاعة المثبتة هي النَّافعة، لٰكن تنفع بشرْطي الإذن والرِّضا: الرِّضا عن الشَّافع وأن يكون ممن

---

(١) سورة: غافر.

(٢) سورة: البقرة.

(٣) سورة: الأنعام، الآية (٥١).

(٤) سورة: النَّجم.

(٥) سورة: البقرة، الآية (٢٥٥).

(٦) سورة: الأنبياء، الآية (٢٨).

(٧) سورة: الزخرف.

شهد بالحق وهو يعلم، والرِّضا عن المشفوع له بأن يكون من أهل التَّوحيد.

ولهٰذا ثبت في الصَّحيح أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النَّبيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»[1] قال العلماء: معنىٰ قوله: (**أسعد النَّاس**) يعني سعيد النّاس؛ فأفعل التَّفضيل هنا ليست علىٰ بابها في المفاضلة، وإنَّما هي بمعنىٰ (سعيد النَّاس)، كقوله جلَّ وعلا: ﴿**أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا** ﴿٢٤﴾﴾[2]، والنَّار ليس فيها مَقِيلٌ حسن.

فإذن الشَّفاعة إنَّما هي لأهل الإخلاص، شفاعة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وشفاعة الملائكة وشفاعة الصَّالحين وشفاعة العلماء يوم القيامة إنَّما هي لأهل الإخلاص، وأهلُ الإخلاص يطلبونها منَّ الله؛ فيقول المخلصُ: اللّٰهمَّ شفِّع فيّ رسولَك ﷺ يوم القيامة، اللّٰهم شفِّع فيّ ملائكتَك، اللّٰهمَّ شفِّع فيّ العلماءَ الصَّالحين، اللّٰهمَّ شفِّع فيّ عبادَك الذين تحبُّهم ويُحبونك، ونحو ذٰلك من الألفاظ.

فتُطلب الشَّفاعة من الله جلَّ وعلا، ولا تُطلب الشَّفاعة من المخلوق، لم؟ لأنَّ الشَّفاعة طلب الدُّعاء؛ إذا قال: أستشفع يعني: أطلب منك الدُّعاء، أطلب منك رفع حاجتي، وإذا رجع أمر الشَّفاعة إلىٰ الطَّلب صارت الشَّفاعة من أنواع الدُّعاء، فصار طلب أو دعوة غير الله شركًا أكبرَ.

ولهٰذا نقول: طلبُ الشَّفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله -يعني من الأموات ونحو ذٰلك- فإنَّ هٰذه شرك أكبر؛ لأنَّها دعاء والدُّعاء يجب أن يكون مُخْلَصًا فيه لله جلَّ وعلا.

---

(١) أخرجَه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٩٩).

(٢) سورة: الفرقان.

[المتن]

القاعدة الثالثة:

أنّ النَّبيَّ ﷺ ظهر علىٰ أُناسٍ متفرِّقين في عباداتهم، منهم مَن يَعبُد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصَّالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم مَن يعبد الشَّمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرِّق بينهم، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[١].

ودليل الشَّمس والقمر قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢].

ودليل الملائكة قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[٣].

ودليل الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[٤].

ودليل الصَّالحين قوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[٥] الآية.

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[٦].

وحديث أبي واقدٍ اللَّيثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع النَّبي ﷺ إلىٰ حُنين ونحنُ حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... الحديث[٧].

[الشَّرح]

هٰذه القَاعدة فيها مقدِّمة ونتيجَة.

أمَّا المقدِّمة فهي راجعة إلىٰ معرفة حال العرب بما أخبر الله -جلَّ وعلا- عنهم في عباداتهم، وآلهة

---

(١) سورة: الأنفال، الآية (٣٩).

(٢) سورة: فصلت.

(٣) سورة: آل عمران، الآية (٨٠).

(٤) سورة: المائدة.

(٥) سورة: الإسراء، الآية (٥٧).

(٦) سورة: النجم.

(٧) أخرَجه الترمذي رحمه الله (ح ٢١٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

العرب الباطلة التي كانوا يعبدون متنوعة:

فمنهم من كان يعبد الشَّمس والقمر، وذكر لكَ دليل ذٰلك، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]، وهٰذا نوع من العرب؛ طائفة كانت تعبد الشَّمس والقمر، ومن غير العرب أيضا.

ومنهم من كان يعبد الشَّجر والحجر[2].

ومنهم من كان يعبد الملائكة، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ[3] لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾[4]، وكان من النَّاس من العرب وغيرهم من يُشرك بالملائكة.

ومنهم من كان يشرك بالأنبياء، كعيسىٰ عليه السلام، قال -جلَّ وعلا- في حقِّه: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[5]، فأُشرِكَ بعيسىٰ عليه السلام.

وأُشرك بالصَّالحين؛ قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[6]، وقد جاء في سبب نزولها: أنَّه لمَّا نزل قول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾[7] فرح العرب بذٰلك، وقالوا: سنكون مع عيسىٰ، وسنكون مع العُزير، وسنكون مع ... مع، ثم نزل قول الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

فتوجَّهوا للصَّالحين بالعبادات المختلفة للرِّجال من الأنبياء والرُّسل والصَّالحين.

وتوجَّهوا أيضًا للأشجار والأحجار؛ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[8].

توجَّهوا إلىٰ الشَّياطين والجن؛ ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[9]، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ

---

(١) سورة: فصلت.

(٢) لقوله تَعَالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

(٣) وهٰذا علىٰ رواية ورش، أما رواية حفص عن عاصم فـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ﴾.

(٤) سورة: سبأ.

(٥) سورة: المائدة.

(٦) سورة: الأنبياء.

(٧) سورة: الأنبياء.

(٨) سورة: النجم.

(٩) سورة: سبإ.

﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[١].

هٰذه أصناف عبادات العرب جاءت في القرآن، وحال العرب ظاهرة فيها.

هل فرَّق الله -جلَّ وعلا- في أمره لنبيِّه بين فئة وأخرىٰ؛ فقال لهم: من عبَد الأشجار والأحجار والأصنام والشَّمس والقمر قاتلوه، وأمَّا من جعل الصَّالحين والأنبياء شُفعاء، وجعل الصَّالحين والأنبياء قربة وزُلْفَىٰ إلىٰ الله -جلَّ وعلا- فهٰؤلاء لا تقاتلونهم؟!

لم يأتِ هٰذا التَّفريق؛ بل جاء الأمرُ واحدًا وحُكِم علىٰ الجميع بأنهم كفَّار مشركون، وقوتلوا، وأمر الله -جلَّ وعلا- بقتال جميع تلك الفئات، وجميع أولٰئك المُشركين جاء الأمرُ بقتالهم من دون تفريق: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[٢]، وهٰذا عامٌّ في الجميع، وهٰذه هي النَّتيجة، فما قبلها مقدِّمة.

وإذا كان كذٰلك كان لا فرق بينَ أنْ يَعبد نبيًّا، أو أن يعبد حجرًا أو شجرًا، أو أن يعبد جِنِّيًا، أو أن يعبد ملَكًا، الحال واحدة.

فمن أتىٰ في هٰذا الزَّمان وفرّق وقال: الصَّالحون إنّما هم أولياء ولهم مقام عند الله والأنبياء لهم مقام وجاه؛ فإذا استشفعنا بهم فإنّ لهم جاهًا عند الله جلّ وعلا!

فنقول: وأيُّ فرْقٍ بين عبادة هٰؤلاء الصَّالحين والتَّوجُّه إليهم وبين عبادة من عَبَد عيسىٰ، أو عَبَدَ العُزير، أو عبَد الصَّالحين الذين كانوا يُعبدون؟ أيّ فرْق بين هٰذا وهٰذا؟ لاشكَّ أنّ الحُكم علىٰ الجميع واحد.

وهٰذه قاعدة يقينية من أنَّه لا فرْق بين هٰذا وهٰذا؛ لأنّ المدار علىٰ عبودية القلب، فإذا قام في القلب التَّنديد والإشراك بالله -جلَّ وعلا- فسواء أكان المشرَك به صالحًا أم طالحًا كان نبيًّا أم لم يكن نبيًّا كان شجرًا أم كان ملَكًا الأمر واحد؛ لأنَّ القلب يجب أن تكون عبوديَّتُه لله وحده، وأن يكون دينُه لله وحده ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[٣]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾[٤].

وهٰذه العبوديّة من جهة العابد لا يُنظر فيها إلىٰ من توجه إليه، فإن توجَّه لله الواحد الأحد فهو مخلص موحِّد، وإن توجَّه إلىٰ غيره فإنه مشرك مهما كان ذٰلك الغير، ولهٰذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[٥] وقوله: ﴿أَحَدًا﴾ يعمّ الجميع كما ذكرنا ذٰلك مرارًا، وكقوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَن

---

(١) سورة: الجن.

(٢) سورة: التوبة، الآية (٣٦).

(٣) سورة: الزمر، الآية (٣).

(٤) سورة: الزمر.

(٥) سورة: الجن.

﴿ يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]، قال جلَّ وعلا هنا: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾، ﴿ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾، هٰذه صفة من عبَد غيرَ الله جلَّ وعلا؛ في أنّه لا برهان له بما عبَد، وليس لها مفهوم من أن هناك ما يُعبد وثَمَّ برهان عليه! بل كلّ من عَبَد غير الله ودعا غير الله فإنَّه لا بُرهان له علىٰ أحقِّية ذٰلك الغير بالعبادة أو بالتَّوجُّه.

فإذا نظرنا في هٰذا الزَّمن: الذين يعبدون الأولياء، ويعبدون القبور والمشاهد ويتوجّهون إليها، ويعبدون الأنبياء والرُّسل ويقولون: مقامات -ونحو ذٰلك- للصّحابة، أو في كلِّ بلد ثَمَّ ضريح ويتوجَّه النَّاس إليه، ويُشركون به، يقولون: هٰذه ليست هي عبادة المُشركين الأولين، لِمَ؟ قالوا: لأنّ هٰذه عبادة الصَّالحين، وأولٰئك إنَّما عبدوا الأصنام! عبدوا أحجارًا! كيف يكون ذٰلك وقد قال -جلَّ وعلا- في وصف أولٰئك المعبودين: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2] ؟.

قال طائفة من المفسِّرين؛ كأبي حيّان في تفسيره البحر المحيط[3] وقاله غيره: إنَّ هٰذه الآية فيمن يُبعث لأنّ الله قال: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ والذي يُوصف بأنه ميت من كان حيًّا قبل ذٰلك، والأصنام التي هي من الأحجار والأشجار ونحو ذٰلك لا توصف بأنها ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾، وإنَّما الذي يوصف بذٰلك من كان تحلُّه الحياة ثم صار ميتا، فإنه يقال: أموات غير أحياء، وبيّن ذٰلك أكثرَ حينَ قال: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فإنها بحقِّ من يبعث يوم القيامة للقاء الله جلَّ وعلا.

فإذن هٰذا الذي يحتجُّ به مشركو هٰذا الزَّمان، ومشركو زمان الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهٰذا في كلِّ مكان، يقولون: إنَّما توجَّهنا إلىٰ صالحين! نقول: وأولٰئك الأولون إنَّما توجَّهوا أيضا إلىٰ صالحين.

قالوا: نطلب الوساطة؛ ما طلبنا منهم استقلالًا! نقول: والأوَّلون أيضا طلبوا الوساطة والقربة والشَّفاعة، ولم يطلبوا استقلالًا.

فالحال هي الحال، وإن تغيَّرت الأسماء، وتغيَّرت الدَّعاوي، فالحال هي الحال، وما أشبه اللَّيلة بالبارحة.

---

(١) سورة: المؤمنون.

(٢) سورة: النحل.

(٣) قال أبُو حيان في «تفسيره» (ج٥/ ص٤٦٨) بعد أن ذكر أقوالا في تفسير الآية: وتلخص من هٰذه الأقوال أن تكون الأخبار بتلك الجمل كلها عن المدعوين آلهة إما الأصنام وإما الملائكة، وقال الزَّمخشري في «الكشاف» (ج٣/ ٤٣١): ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ أنهم لو كانوا آلهة علىٰ الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت، وأمرهم علىٰ العكس من ذٰلك.

[المتن]

القاعدة الرابعة:

أنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأوّلين، لأنّ الأوّلين يُشركون في الرَّخاء ويُخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائمًا في الرَّخاء والشِّدّة.

والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

[الشَّرح]

هٰذه القاعدة نتيجة لما سبق، يعني مرتَّبة علىٰ ما سبق.

إذا تقرَّر أنَّ المشركين في هٰذا الزَّمان من جنس المُشركين في كلِّ زمان، من جنس مُشركي الجاهلية، وإن كانوا ينتسبون إلىٰ الملَّة، والإسلام، ولهم صلوات، ولهم تعبُّدات، إذا كانوا من جِنسهم والشِّركُ الذي فعلوه هو الذي فعله الأولون فربما زادت الحال، وهو الذي بيّنه الشَّيخ في هٰذه القاعدة؛ بأن مشركي هٰذا الزَّمان أغلظ شركًا من مشركي أهل الجاهلية، لِمَ؟

لأنّ الله -جلَّ وعلا- وصف أهل الجاهلية بأنهم يُشركون في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدة فإنّهم يوحدون، قال جلّ وعلا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]، (إليه) يعني: دون ما سواه ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾.

وقال جلّ وعلا -في بيان حالهم في البحر-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[3]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[5].

إذا تأملت الحال والحال:

فأولٰئك يُشركون في حال الرَّخاء، وأمَّا إذا مسّتهم البأساء ومسّتهم الضَّرَّاء فإنهم يُخلصون ويوحِّدون؛

---

(١) سورة: العنكبوت.

(٢) سورة: النحل.

(٣) سورة: يونس.

(٤) سورة: العنكبوت.

(٥) سورة: لقمان.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

أمَّا مشركو هٰذه الأزمنة فإنهم إذا مسَّهم الضُّر فزعوا إلىٰ العيدروس أو إلىٰ الحسين، أو إلىٰ البدوي، أو إلىٰ المرغيناني، أو إلىٰ... أو إلىٰ... إلىٰ آخر أنواع النَّاس أو الموتىٰ الذين يتوجّهون إليهم، إذا مسَّتهم الضَّرَّاء فزَعوا إلىٰ الأشجار، إلىٰ أحجار ونحو ذٰلك.

وهٰذا لا شك أنه أعظم من شرك الأولين؛ لأنهم يشركون في الحالين، والمشركون الأولون يشركون في حالٍ واحدة، ويتذكَّرون في الحال الثَّانية.

ولٰكن من يفقه هٰذا؟ ومن يعلَم هٰذا؟ ومن يَشِفُّ عليه هٰذا الأمر حتىٰ يكون يقينيًّا عنده، لا مراء فيه، ولا لَبس؟ لأنَّ بعض النَّاس قد يقول هٰؤلاء يصلُّون، ويزكُّون، ويصومون؛ فكيف يكونون أغلظَ شركًا من الأولين؟!

نقول: العمدة علىٰ أصل الدِّين؛ لأنَّ هٰذه العبادة بلا توحيد لا تنفع، كما ذكرنا في أوَّل الكلام، كما لا تنفع الصَّلاة بلا طهارة، فإذا كانت هناك عبادات عظيمة ومع الشّرك فإنها لا تنفع ولا تُقبل، فكيف إذا كان يُشرك في حال الرّخاء وفي حال الشِّدة؟

وقد ذكر بعض العلماء أنه لقِي رجلًا من أهل الطَّائف، قبل انتشار الدَّعوة هناك ومعرفة النَّاس بالدَّعوة والتَّوحيد.

فقال له هٰذا: هٰؤلاء أهل الطَّائف إذا جاءتهم شدة فزعوا إلىٰ ابن عباس! ولا يعرفون الله.

فقال الآخر له: معرفة ابن عباس تكفيهم!!

وهٰذا نوع من أنواع الشّركيات التي تغلغلت في النُّفوس، نَسُوا معها الله -جلَّ وعلا- في الرَّخاء، وفي الشِّدة، إلَّا ما نذر.

وهٰذا كثير، كثير اليوم، فحرِّك ترَ، والنَّاس في عجب في هٰذا الأمر، والله -جلَّ وعلا- أنعم علينا في هٰذه البلاد أنَّنا لا نرىٰ ولا نسمع ما يُقلقنا من هٰذه الأمور الشِّركية، والكفر الأكبر، والشِّرك الأكبر بالله جلَّ وعلا، ومن ذهب إلىٰ البلاد التي تكثر فيها الشِّركيات؛ كبعض جهات مِصر، وبعض جهات السُّودان، وإفريقيا، وبعض جهات الباكستان، والهند، ونحو ذٰلك، والعراق، وسوريا، ونحو ذٰلك رأىٰ عجبًا، والنَّاس يتوجَّهون إلىٰ هٰذه الأضرحة، وإلىٰ مدافن الأولياء، بل وغير الأولياء، ويعتقدون فيهم اعتقادات، جعلوا لهم نصيبًا من الإلٰهية.

والله -جلَّ وعلا- له الحق الأعظم في إخلاص الدين له، وأعظم ما يستحقّ -جلَّ وعلا- أن يُعبَّد القلب له، وأن لا تكون ثَمّ عبادة إلَّا له سبحانه دونما سواه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[1]، وقال -جلَّ وعلا- في الحديث القدْسي: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرك؛ مَنْ عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[2]، وإذا كان هٰذا في الرِّياء، يقصد المرء بالعمل غير الله جلَّ وعلا؛ يقصد رؤية فلان، فكيف بالتَّوجُّه بالعبادة لغير الله جلَّ وعلا؟! كأنْ يدعو غير الله، وأن يستغيث بغير الله، أو أن ينذر لغير الله، أو أن يذبح لغير الله، أو أن يستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، أو أن يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، التَّوجه إلىٰ الموتىٰ والاعتقاد فيهم، ويسمّون ذٰلك السّر؛ يُقال: روح السَّيد فيها سر، ولهٰذا يجعلون مكان (الرُّوح) كلمة (سر)؛ فيقولون: هٰذا له سر، وقدّس الله سرّه؛ لأنهم يجعلون لأرواح أولٰئك أسرارًا، وروحه ليس فيها سر، إلا سِرُّ صُنْعها وخلْقها من الله جلّ وعلا، أمَّا أنها تغيث من استغاث بها أو تُعطي من طلب منها فهٰذا كلّه ليس إلّا إلىٰ الله جلّ وعلا؛ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[3].

وقال جلّ وعلا -مخبرًا عن حال الكفَّار في النَّار-: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[4]، قال العلماء: ما سوَّوهم بربِّ العالمين في أنهم يخلقون، ويرزقون، ويُحْيُون، ويُميتون، وإنَّما سوَّوهم بربِّ العَالمين في العبادة، في أنْ توجَّهوا لهم ببعض العبادة، فصاروا مسوِّين لهٰذه الآلهة الباطلة بالله -جلّ وعلا- في استحقاق العبادة، لأنهم عبدوا الله، وعبدوا غيره، فساوَوْا الخلق بالخالق جلَّ وعلا، وهٰذا أبشع ما يكون من الظلم، وأقبح ما يكون من الاعتداء علىٰ حق الله جلّ وعلا، إذْ حقُّه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- إجلالُه، وتعظيمه، وتوحيده، والإخلاص له، والاعتراف له بكلِّ كمال، ووصفه -جلَّ وعلا- بنعوت الجمال والجلال والكمال، وسَل رؤية النفس، وأنه ليس ثَمّ خير إلَّا منه سبحانه، وليس ثَم اندفاع شر إلَّا منه سبحانه، فنحن إنَّما نتقلّب بفضل الله وبنعمته.

فهٰذا الأمر إنَّما يعود إلىٰ أصل تلك الدَّعوات الثَّلاث.

نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلنا ممن: إذا أُعْطي شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمَّد.

---

(١) سورة: الكهف.

(٢) أخرجَه مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سورة: البقرة.

(٤) سورة: الشُّعراء.

المحتويات

مقدمة المؤلف ٢

أهمية رسالة القواعد الأربع ٢

عنوان السعادة ٣

عبادة الشكر عند العطاء ٣

الفرق بين الحمد والشكر ٤

عبادة الصبر علىٰ البلاء والاستغفار من الذنب ٥

تلازم الشكر والصبر والاستغفار ٥

حقيقة الحنيفية ٦

معنىٰ لا إله إلا الله ٦

التوحيد شرط العبادة كاشتراط الطهارة للصلاة ٧

الخوف من الوقوع في الشرك والفرح بالتوحيد ٨

عظم مسألة الحكم علىٰ أهل الإشراك ٨

القاعدة الأولى: توحيد الربوبية وحده لا يدخل أحدا في الإسلام ٩

من براهين توحيد العبادة أن تقام الحجة بتوحيد الربوبية ٩

غلط المتكلمين في تعريف الإله وأثر ذلك علىٰ دين الإسلام ١٠

القاعدة الثانية: دعاء وتوجه المشركين لغير الله كان لطلب القربة والشفاعة ١١

زعم المشركين أن الآلهة تقربهم إلىٰ الله زلفىٰ وتشفع لهم عند الله عز وجل ١١

أصل شرك العالم ١٢

الاعتقاد في روحانيات الكواكب ١٢

الاعتقاد في روحانيات وأرواح الصالحين ١٣

أنواع الشفاعة ١٣

الشفاعة المنفية ١٣

الشفاعة المثبتة ١٤

الشفاعة تكون إلا لأهل الإخلاص ١٥

القاعدة الثالثة: المشركين الذين ظهر فيهم النبي كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار والشمس والقمر ١٦

أصناف المشركين ١٦

الأمر بقتال جميع أصناف المشركين..... ١٨
عبادة الصالحين شرك لا فرق بينها وبين عبادة الأشجار والأحجار..... ١٨
الرد علىٰ من فرق بين عبادة الأصنام وعبادة الصالحين..... ١٨
القاعدة الرابعة: مشركو زماننا أشد شركا من مشركي أهل الجاهلية..... ٢٠
مشركي زماننا مشركون في الشدة والرخاء ومشركي أهل الجاهلية يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة..... ٢٠
نعمة التوحيد علىٰ بلاد الحرمين..... ٢١
الخاتمة: حق الله علىٰ العباد أن يخلصوا له الدين..... ٢١